الى استاذي الحبيب بطرس البستاني
الذي عرفت فيه المعلم الصديق والاديب النقادة

بيروت ٩ ك٢ ٩٢٩

[illegible]

يوميات
ميشال سرور

منشورات «دار المكشوف»

الصبي الاعرج (نقد)	توفيق يوسف عواد
عشر قصص (نقد)	خليل تقي الدين
قميص الصوف	توفيق يوسف عواد
عمر افندي	لطفي حيدر
كان ما كان	ميخائيل نعيمه
ليلة القدر	احمد مكي
العراق بين انقلابين	عبد الفتاح ابو النصر اليافي
ارجوحة القمر (شعر)	صلاح لبكي
على المنبر (الجزء الاول)	الدكتور نقولا فياض
الاشتراكية العملية	ابراهيم حداد
خطيئة الشيخ	رشاد المغربي
الباب المرصود	عمر فاخوري
افاعي الفردوس	الياس ابو شبكه
وهل يخفى القمر ؟	رئيف خوري

* تحت الطبع *

الرغيف	توفيق يوسف عواد
الحقيبة	سليم حيدر

ميشال اسمر
من ندوة الاثني عشر

يوميات ميشال سروف

كمال الحاج

المكشوف
بيروت ● ١٩٣٨

طبع من هذا الكتاب خمسمئة نسخة على ورق عادي
و ٢٦ نسخة على ورق « بوفان » مرقومة من ١ الى ٢٦

أهدي باكورة اعمالي

الى ا... التي كتبت الي ما تعريبه :

« يلذ لي دائماً ، وانا في الغربة ، ذكر الاويقات الهانئة التي كنا نقضيها محدثين مسامرين .

كنت احفظ لك ، حتى في عهد حبي الجميل ، زاوية لطيفة في قلبي المعذب . ثم احببتك ، وحلمت مراراً ان اصبح اهلا لك ، ورفيقة لحياتك ، اساعدك في عملك واشاطرك احزانك ، ابكي عندما تبكي واغتبط لسرورك ، اشتغل معك لاضاعف شجاعتك واغذي أملك ...

كنت اعلم ان الحب وحده لا يكفي شابا مثلك . فقد اطلعت على الاعباء العديدة التي تثقل كاهلك ، وعرفتك تعمل وحيداً للوصول الى هدفك ، ولذا وددت نفسي ووددت كل فتاة تحبك لو تحمل لك ، الى جانب حبها ، عاطفة الام ، فتحنو عليك وترعاك في حنانها المخلص ... »

م٠١

كلمة

لست راغباً في قارىء يطالع كتابي مرة ثم يطرحه في زاوية مهملة ويبعد نفثاته عن قلبه . أريد من كتابي صديقاً لاصدقائي ورفيقاً لهم في اكثر ساعاتهم . بهم فكرت عندما قررت اخراجه الى عالم الوجود ، وروحهم ناجيت عندما حنت نفسي الى اخواتها .

لن يفهمني البعض . ولكن ، احس باني كتبت ليفهمني قسم ولكي لا يفهمني قسم ثان . فهذا طبيعي اذن . ان اصدقائي سيتحدثون الالفاظ وبعض غموض فيها الى ما تحمل من معان وآفاق واجواء .

... وكان علي ان لا اجعل الناس يشككون ، فاقتصرت وأوجزت مكتفياً ببعض الرموز .

هي موسيقى راقصة ليس من الضروري ان يكون فيها عمق ، ولكن فيها نغم وفيها تنقل وفي كليها رجفة ونشوة .

بيروت في ٣١ كانون اول ١٩٣٨ .

م.١

ترجمهٔ مؤلف

لماذا تكتب اذن ؟

شخص اول — لست من الذين يفكرون والريشة وطبة في يدهم ، ولست خاصة من الذين يستسلمون لعواطفهم امام الدواة المفتوحة وقد جلسوا على كرسيهم وتطلعوا الى الورقة امامهم • اني احنق وأخجل من كل تسجيل ، فما الكتابة الا ضرورة انا مسوق اليها ، وعندى كره للحديث عنها حتى ولو ايحاء.

شخص ثانٍ — اذن ، لمَ تكتب ؟

شخص اول — يا لاسفي !.. ولكن اعلم ، يا صديقي ، اني لم اجد حتى اليوم وسيلة اخرى انعتق بها من افكاري .

شخص ثان — ولماذا تريد الانعتاق منها ؟

شخص اول — لماذا اريد ؟ أأنا اريد ! ... اني محمول على ذلك.

شخص ثان — كفى ! كفى !

عن «العلم الفرح» لنيتشه

١٤

١٥ تموز ١٩٣١

كنت دائماً احس عندما اخرج من كرسي الاعتراف بنوع من الغبطة وبسرور عميق، وعندما كنت ارجع الى نفسي لابحث عن مصدر هذه السعادة ، كنت اجد انها تعود باكثرهـا الى اعترافي بخطاياي اكثر منها الى الصفح الذي احرزه عنها . اجل الاعتراف ! البوح بما احس . كل ذلك يعزيني .

منذ مدة غير وجيزة وانا اتهرب من النـاس حتى من الشبان ، لاني لا اجد فيهم ما يقربهم الى نفسي . ولكن هذا السكوت وهذا التكمش يقتلاني . اذن ، لِمَ لا اتكلم ؟ لم لا اعرّي نفسي ؟ ولكن! لمن ؟ولماذا ؟

آه ! الا استطيع عمـل شيء دون ان اطرح على نفسي هـذا السؤال الدائم : لماذا ؟

ايتها الوريقات البيضاء ! ستكونين رفيقة نفسي وقبر احـلامي . فيك سأجد العزاء في ساعات ضجري ، واللذة في ساعات غبطتي .

انت على الاقل ليس بامكانك ان تتهربي من سماعي، سآتي اليك كلما راقني الامر ، واحدثك قدر ما اشاء ، وبعدئذ ارجع اليك كلـما طاب لي ذلك ، وفي المستقبل ... المستقبل القريب والبعيد ، سأجد فيك افكاري غير مشوهة وعواطفي حية صادقة .

الاعتراف ... الاعتراف ... البوح بمكنونات النفس .

١٥

الاحد صباحا

لقد قضيت ليلة مؤلمة ... اشباح مخيفة مرت في خيـالي ومنعت عني الرقاد ، اشباح رقت احياناً ، فكنت احدث عن حياتي وتتراءى لي الاجيال المقبلة مهتمة بها . كنت اشاهد هـذه الوريقات التي كتبتها والتي سأكتبها كأثر ثمين تتسابق المكاتب للاحتفاظ به .

ولكن ، يا لتعاستي ! كنت احس في احيان اخر بالوحدة ، بالالم ، احس نفسي منبوذاً ... يا لهذا المجنون ! أيظن نفسه جديراً بالاهتمام ؟

على كل ، ستبقى هذه الوريقات ملكي الخاص اتصرف بها كما اشاء ، واتلفها ساعة اريد ، واخفيها عن كل احد .

ولكن تراني اعود الى فكرة المسؤولية ، الى سؤالي الدائم : لمَ هذا وما هي نتائج ذاك ؟

هنا تأثير المدرسة علي ، هنا تأثير الدين ايضاً !

٢٥ آب ، نصف الليل

الموت !.. ربي ، لا اريد ان اموت دون ان اعطي شيئاً مني ،
دون ان اترك ذكراً ابدياً في هذا المنفى الارضي •
علي ان اصدو كتابي في القريب العاجل •
وها انا اكتب بايمان ثابت

« عزيزي ...

لا شك انك تذكر ذاك المساء المعتم من حزيران الماضي يوم جئت اليك مصفر الوجه ، مضطرب الفؤاد ، وارتميت على حافة سريرك • ساد صمت بيني وبينك ... وبدون ان تسألني عن الخبر بدأت اسرد على مسامعك المرهفة حادثاً عاطفياً جرى لي وكان له التأثير العميق في كامل وجودي • واليوم يستولي علي شعور عام يقلقني ويقض علي مضجعي • احس بالذهاب ، بالتلاشي ، بالموت • ولذا جئت اطلب اليك ان تقتطف من مذكراتي المقاطع التي لها علاقة بهذا الحادث ، وتؤلف منها قصة طويلة مستعيناً بالصفحات الاولى من كتابي الاخضر الذي يمكنك ان تجده في زاوية مكتبتي السرية •

ابدل الاسماء ان شئت ولكن دع اسمي يظهر كما هو ، هذه هي ارادتي • وان وجدت صعوبة في تتميم هذه المهمة التي القيها على عاتقك فتعذر عليك القيام برغبتي الاخيرة ، فانشر على الاقل مذكراتي على علاتها ، وأهدِ كتابي الى اصحابي الذين اودهم واحفظ لهم اطيب ذكرى حتى في الدنيا الثانية ، وراء القبر •

١٧

١٤ ايلول

بعد مشاهدة بعض الافـلام أخرج من قاعـة السينما وفي نفسي احساس عميق . تقـوى نزعاتي فافكر : يا لصغارتي ! يا لصغارتنـا ! أبطال كبار تراءت لنا ... رجال عظـام : ولمَ لا اكون منهم؟.. يجب ان اصـل الى هـدفي ، أن اصعد اليه ... اليكِ عني ايتهـا المستنقعات المميتة !

١٨

الخميس ٨

ما هو دور المرأة في حياتي وما هو موقفي منها تجاه نزعاتي القوية وهل هي الا آلة لهو ؟(ولمَ نظرت اليها كذلك ؟ ولمَ اصبحت انظر اليها كذلك بعد تلك الرياضة النفسية التي قمت بها طوال الشهر الماضي ؟)

ولكن لادع الظروف تقودني في كل حوادثي هذه .

أما الزواج ... ولكن لا ! اين احلامي ؟ أين رسالتي ؟ اين حريتي ؟ اليك عني ايتها المرأة ، المذلة قواي ، الضاغطة على مجرى حياتي الحر .

١٩

الجمعة

ان الرجل الحقيقي يرغب في امرين : المخاطرة واللعب . ولذاهو يحب المرأة : اللعبة الاشد خطراً .

الرجل يخلق للحرب والمرأة لراحة هذا المحارب ...

ان المحارب لا يحب الاثمار الشديدة الحلاوة . ولذا هو يحب المرأة فهناك طعمة مرة تبقى في المرأة الاكثر حلاوة .

على من يقع بغض المرأة غالباً ؟

هاكم ما قال الحديد للمغناطيس :

« اني ابغضك كثيراً لانك تجذب دون ان يكون عندك القدرة الكافية لتحتفظ بما تجذب . »

(عن فيلسوف الماني)

انتبهوا جيداً الى الطريقة التي بها تعقدون زواجكم . ليكن هذا العقد ناضجاً جيداً . والا يتبعه انفصال طبيعي .

ومن المفضل ان ينفصل الزوجان على ان يكذبا بجبت فظيع .

وها كم ما قالت لي احدى النساء : « حقاً لقد حطمت قيود زواجي ولكن هذه القيود كانت قد حطمتني قبلا . »

لا تفكروا فقط بالانتشار والزيادة بل فكروا بالسمو . ولا بأس ان تستعينوا لذلك بحقل الزواج .

نيتشه

١٠ تشرين ثان

لتكن الصراحة مبدأ علاقاتي مع اصحابي وصويحباتي . ولم لا اقول للوريس : « انا . . هذا ما اريد . . . هذه هي وعودي فقط . . . يمكنك ان تتكلي علي بهذا وهذا فقط . »

ولكن ، الم اجرب ذلك مراراً عديدة حتى اليوم وكنت اعود فاشلا ؟

هذا الجو لا يوافق من اعاشر . وهل باستطاعتي ان ابدل به غيره ؟ لذا ساظل دائماً مجهولا من معارفي يرسلون في آراءهم على هواهم الغبي .

٢٢

الاحد

وددت لو استطعت تلقين الحب الصافي الى الفتيات اللواتي يحطن بي.

وهذه الرسالة من صديق لي في المانيا : « صداقة حرة تسطو على علاقاتي مع فتاتين من الجامعة ... مراسلة ، احاديث ، نزهات ... اخيراً حياة مفتوحة .»

من المستحيل ان اجد ذلك في بلادي .

اذاً سافرغ عواطفي بالقالب الذي اريده : رسائل غير ممضاة ، قصائد مرفوعة الي من اوحاها دون ذكر المصدر .

كل ذلك للذتي فقط : « ما احببته فيك هي سكرتي ونشوتي و ... نفسي.»

الاربعاء ٢٠

اكاد انهي دروسي الثانوية وحياتي ضعيفة بعد، مقيدة محدودة . ولكن لا ! احس بترجرج في داخلي الجسمي والروحي ، احس بثورة لا استطيع توجيهها في هذا اليوم .

قرأت كثيراً وعشت كثيراً ... في احلامي .

لا ، لن استطيع ان اروّض نفسي على احتمال ما ارى وما هو كائن (على تعبير استاذ الدين عندنا) .

عبثاً احاول الاستسلام،ففيّ اصوات تناديني وتنهض بي الى الانعتاق الى التغيير ، الى القلب ... قلب المجتمع الذي اعيش فيه .

٢٤

٢٧ كانون اول

شرقي الجميل ! كم لك في نفسي من ذكريات طيبة ! ففي مناظرك الطبيعية العذبة ، وفي اجوائك الفسيحة العطرة ، وتحت سمائك الصافية المنيرة عشت ايام طفولتي وصباي ، عشت الشعر في نفسي الشاعرة .

احببت لطفك وسكوتك وحلمك ولكن ضاق باهلك خيالي .

انت شردته يا شرق ، فافقك غير محدود وجبالك تشرف على اللانهاية ، ولكن من سكن في اوديتك وتعذر عليه التحليق الى قممك ، ذاك البليد الذي ارتاح جسده المحدود الى نفسه المحدودة ، ذاك المستنقع من البشر يضايقني، وتراني لا استطيع الحياة الى جانبه . ربيت منذ حداثتي وفيّ طموح وامل . عشت اغذي هذا الطموح في نفسي على ضوء هذا الامل الضئيل . شقيت وتعذبت ، ولكن ما استطعت ابداً ان اقتل نزعاتي واضحي بميولي .

في السنة الماضية اضطررت ان اعاشر هذا النوع من البشر ، وان اندمج في جوه المظلم ، ورغبت ايضاً ، في بعض ساعات ضعفي ، ان اقاسمه اتراحه وافراحه، وان اعيش معه كفرد من افراده . ولكن ما استطعت الى ذلك سبيلا . روحي قلقة لا ترتاح الى العاميات والى ما يرافقها من خمول ، في نفسي ثورة احسها جانية غير اني لا استطيع كبح جماحها .

يا ويل تركيا في يوم الدينونة الانسانية مما زرعت في هذه البقعة من الشرق التي سيطرت عليها قروناً ! ويا ما اتعسنا نحن ، وليدي سنوات الحرب ، لما نلاقيه من بون شاسع بيننا وبين من وكل اليهم امرنا .

شباب ينفتحون الى الحياة تغذيهم افكار ومدنية غربية متطرفة فيصطدمون بافكار المحافظين ، بافكار اهلهم المقربين ، ويتألمون .

هي افكار غالباً ما تكون بالية ، بليدة، ارث تركيا المتهدمة ،فمن اين لنا ، من اين لي ان اعيش في جو كهذا الجو ؟

تطبق فينا تماما وفي حالتنا الاجتماعية فكرة هنري دى منترلان حين قال : « عندما ارى رجلين يسيران في الشارع جنباً الى جنب ولا يكلم احدهما الآخر لا يخالطني ريب عند ذاك في ان الاول الاب والثاني الابن . »

آه ! اني احس صحة القول فيّ وفي اهلي .

تعد على الاصابع الزيارات والنزهات التي قمت بها مع والديّ منذ اصبحت ادرك للحياة معنى ، فانا اعيش في بيتي غريباً عمن سكنت واياهم تحت سقف واحد . اجل ، يجمعنا بعض العاطفة ، ولكن ، هل هذا كاف ليبقينا قريبين متحدين ؟

٢٦

السبت مساء

انسعت الشقة بيني وبين محيطي ، خاصة منذ بدأت احس فيّ رسالة هي رسالة الاديب ، رسالة الكاتب ، رسالة الروائي .

اكاد انتهي من قراءة التيبو لروجه مارتان دوغار ، ويستولي علي شعور هو شعور النقص في حياتي الاجتماعية . ارى ابطال هذه الرواية الطويلة منوعي العقليات والاشغال والاعمار ، وارى الكاتب يحدث عنهم جميعاً كانه اختصاصي في كل فن من فنونهم وفي كل مهنة من مهنهم وفي كل نزوة من نزواتهم .

وانا ؟..

كلما اردت ان انغمس في لجج الحياة لاتعرف اعماقها او اصعد الى قممها لاحس هواءها ، ترى الناس يصرخون وجلين ، متخوفين ، ناقين .

نداء يدعوني الى الحياة في كل ما هو كائن .

ان الذي يشاهد العذاب لا يحس العذاب،ولا يستطيع التعبير عن نفس متألمة ، شقية . الفرق عظيم بين من يحيى شيئاً وبين من يقرأ عنه او يسمع شتى الاحاديث المتعلقة به .

بالامس القريب شهدت رواية « كوخ البحر ـ ا. ن » الغنائية . ذرفت الدموع حارة لبعض مشاهد تتخلل الرواية . وكان لى جانبي

بعض الاصحاب فما كنت ارى على وجوههم سوى تأثير مائع كانهم لا يحسون ما يشاهدون . اما انا فكدت اشهق لعذاب هؤلاء البحارة واشاركهم بكاءهم . انا احسست الاخوة بيني وبينهم لاني عشت عذابهم في حياتي الخاصة .

٢٨

الاثنين

اود ان احيا كل انواع الحياة ، اريد ان اشعر بكل شيء . الحياة قصيرة واحساساتها عديدة فدعني احياها كلها ولا اندم على ما قد يفوتني لو كنت هادئاً (؟) رزيناً (؟) كما ينصحني كل من عرفني وخاف علي من نزعاتي الشاذة .

لن اتحدث ابداً في كتاباتي عن اشياء معرفتي بها سطحية فقط. قرأت تآليف جيد كلها فلم اقع على حوادث خلاف عائلي ابداً مع ان هذا الكاتب يحدثنا عن احساسات النفس البشرية كلها، فما الذي جعله يمر سريعاً على مثل هذه الخلافات ؟ تساءلت عن هذا مراراً ، واخيراً علمت ان جيد نظم حياته العائلية مع امرأته تنظيما غريباً فجعلها اتفاقاً متبادلا ابعد فيه كل مسبب للخلاف ، فهو اذاً لا يحس هذا التنافر بين الرجل وامرأته، وبالتالي لا يأتي على ذكره في مختلف تآليفه.

قال لي احد اصحابي المثرين : « لم احس ابداً بالضيق المالي ، وما استطعت سوى تمثيله مجسما في رفيق لك. ايام كنت اراه يسهر حتى بعد نصف الليل ، مثلاً ، ليقوم ببعض اعمال تدرّ عليه بعض المال .»

آه ! يا صديقي ! كم هي بعيدة عن الحقيقة هذه التصورات التي تخالج خيالك !

لا ، لا . يجب ان احس ما اكتب (ولذا : الاسفار) .

١٢ كانون ثان

وها انا اسير سيراً حثيثاً في القصة التي اؤلفها . ستكون قصتي نوعا من التراجم . اود ان يكون اول مؤلف لي على شكل «الولد المثقل بالقيود» لفرنسوا مورياك . سآخذ عن هذا الكاتب عنوان كتابه واجعله، اجل اجعله، اقوى واصح واعظم من مؤلف مورياك .

أأضحك من نفسي؟ أأجرؤ على كتابة ما تقدم؟ اجل، ولم لا؟ لادع نفسي تحاسب نفسي!

في رسالتي الاخيرة الى م. قلت لها: «يا لك من غبية! قدمزقت رسالتي الاخيرة وطرحتها جانباً . اولم تفكري انه كان باستطاعتك ان تباهي بها يوما، وتبيعيها بالذهب الرنان ... الم تشعري بقيمة إمضائي ... الم تتمثلي الخلود يناديك لابراز هذه الرسالة الى عالم الوجود؟

ارى الجماعات والامم والكون باسره يركضون للمناداة بي! ساعيش في القلوب، سيتحدث عني الناس، سيصبح كل ما مسني مختوما بطابع البقاء، ستكون غرفتي تاريخاًوتاريخاً قيماً .

ذاك انا في ساعات غبطتي وهي قصيرة . ولكن ... في ساعات اخرى : يا لضعفي ! من انا ؟ انا حشرة صغيرة ، انا شيء تافه امام عظمة الكون .

لماذا تشير الي بالبنان يا ايها الرجل . أأنا مجنون ؟

انا ضعيف ، اقر بضعفي ،فجنب عني نظراتك ، واتركني في خمولي فانا لا اتحرش بك ، انا ساكت ، انا عائش وحدي ، انا راض بقذارتي فلا تشهّرني . بالله عليك ، غضّ الطرف عن بعض نزواتي ودعني وحيداً مع نفسي .

شكراً على تلطفك ،ووعداً مني اني لن افرض سخافتي عليك بعد اليوم !

الاربعاء ١ شباط

حالة بلادي تؤلمني ، ومصيبتها سياستها . ارغب في سعادة مواطني ولكن اراني بعيداً عن السياسة واساليبها وتطوراتها . لا ، لن اندخل بها فصراحتي مع نفسي تجعلني اهتم بما هو متأصل في ، بمرضي الاناني ، بوجودي الحائر .

اجل ، جربت كثيراً ان اخرج من نفسي واندمج في الحياة الاجتماعية ، في الحركات العامة . وفي الاسبوع الاخير رافقت طلاب الاصلاح في مظاهرتهم الاخيرة لاسقاط المجلس النيابي وابدال شكل الحكم . وقد اثرت فيّ حماستهم ودبت حرارتها الى بعض اعماقي . سررت من عملي ساعتئذاك واحسست بشيء من الراحة ، ولكن لم يدم فيّ ذاك الاحساس طويلا .

ما كدت اعود الى غرفتي وادخل في جوها حتى عاودتني قساوة افكاري الاول ، فرجعت الى اعماق نفسي احصها وافسرها واحاكها .

وتضايقت بعد الظهر ، فذهبت الى البساتين ، الى الطبيعة الحرة اتيه في صمتها وفضائها ، وارتميت هناك على الارض ، على العشب استريح من خفقاني الداخلي ، ثم تسلقت الصخور وسابقت الرياح انهك جسمي ليستريح فكري . ولكن ...

وفي الليل ، حلمت وكانت احلامي عديدة ، وكنت انا محورها الوحيد .

٣٢

آه منك يا نفسي ! الى اين يقودني اهتمامي بكل نفثة من نفثاتك ونغمة من نغماتك ؟ انا مثقل بك ، متعب بنضجك. هلا اردرت اثمارك فتستريحين وتريحينني معك .

الاحد

وتتسع الهاوية بيني وبين رفاقي ...

لا اجد الشوق نفسه والاهتمام الزائد اللذين كنت احس بهما من صديقي م.ا. وها هو يبتعد عني.

انا احب هذا الصديق واغار على صداقته ان تفقد . ولقد حدثته عن ذلك واطلعته على غيرتي وشكي فلزم الصمت منكراً . وعند الحاحي اخبرني انه اصبح يجد في علاقاتي وفي حديثي بعض حريات ، بعض فلتات قوية مفزعة ... وفي سلوكي شيئاً من الشبهة .

يا لتعاستي ! انا ضامن طهارتي ، اكيد منها .

اوليس من الممكن ان اجد من يفهم سر اعمالي ويتتبع تطوراتي عاطفاً ؟ في نفسي رسالة الروائي ، وانا مدفوع طبيعياً للتعمق في كل شيء ... في كل شيء . هل من اخطار ؟؟؟ لا بأس . الم يكن مبدئي دائماً ان اكوّن نفسي بنفسي دون اي مساعد ؟

١٠ شباط

وبعد رفاقي ارى محيطي القريب يتطلع الي مشككا خائفاً .

ارى ان للقصصي حياة غير حياة اي كان .

هذه الرسوم والحركات الدقيقة التي لا ينتبه اليها العادي من الناس والتي غالباً ما تكون لها قيمتها الكبيرة .

وبعض الاوساط التي يجب ان يدخلها ان اراد ان يكون صادقا في وصفه .

من يفهم ذلك عندنا ؟

يجب ان اتحمل كل المسؤوليات وحدي وتراني ابتعد عن كل من اتصل بي ... وسأوقف منذ الان ايجاد كل علاقة جديدة يمكن ان تحدث تأثيراً خارجياً انتقاديا على صاحبها .

السبت صباحا

هكذا تكلم زرادشت :

الخالق

في ذات يوم قال فحم المطبخ للماس :

« ماهذه الصلابة فيك ؟ السنا (من مصدر واحد) قريبين ؟ »

وانا اسألكم ايها الاخوان : « ما هذه الرخاوة فيكم ؟ اولستم اخواني ؟ لمَ هذه الطراوة والخنوع؟ لم تنكرون ذاتكم الى هذه الدرجة ، وتغذون التفاني في قلوبكم ؟ لم نظراتكم بليدة لا يسطع الهدف في شعاعها ؟

وان لم ترغبوا في حمل الرسالات وفي فرضها ، فكيف يمكنكم ان تنتصروا معي ؟

وان كانت صلابتكم لا تريد الاشعاع والقطع والحفر ، فكيف يمكنكم ان تخلقوا معي ؟

اخاطبكم هكذا لان الخالقين قساة . ويجب ان تبصموا يدكم على الدهور كما تبصمونها على الشمع السائل ببساطة طبيعية .

ان القاسي وحده هو رفيع .

وها انا اعطيكم مبدأ جديداً تسيرون عليه : كونوا صلابا .

في ليلة ارق

امي ! انا احبك يا امي ! وانا لا احبك كما قال ذلك الشاعر لانك امي فقط ، انا احبك ، ولحبي دوافع عقلية امتزجت بعاطفتي الطبيعية نحوك ، فاصبحت معتقداً ان علي واجباً مقدساً اقوم به تجاه من كانت ربة العائلة ، ومن تحملت لنموي المصاعب والمشقات . منذ حداثتي ونفسي الحساسة تشعر معك وتتألم لالمك . شهدت بعيني وانا صغير ما كنت تقومين به من اعمال حفظاً لكيان عائلتنا ومساعدة لثباتنا المالي يوم كان من له ادارة دفة البيت لا يديرها بتوازن ... ولكن لمَ اعيد تلك الذكريات على ذهني وانا مقتنع بها لا حاجة لي لترديدها ثانية ؟ ما عرفت العاطفة المائعة بجنبك ، بل احسست بقربك الالم الصامت والحب العميق . لم تدلليني يا اماه ، ولكن ، في اعمالك وفي عرق جبينك وعلى يديك النشيطتين كنت اقرأ ايات المحبة الصادقة واقربك من قلبي واتعلق بك . كم كتمت الدمعة عنك يا اماه و كم تجنبت البوح لك بما يكنه فؤادي نحوك لاني كنت اعلم ان الدمعة في عينيك ايضاً عالقة على اهدابك ترقب كلمة حنان لتسيل غزيرة حارقة مؤلمة . كتمت عنك عاطفتي ، ولكن غذيت فيَّ آمالا يتلوها امال . كان لي حتى اليوم عزاآن : عزاء تأديتي الرسالة التي احملها وعزاء قيامي بواجبي نحوك . وانا لا اتبين جيداً بما اضحي من

الاثنين في سبيل الآخر ، لاني كنت آمن تمام الايمان ان واجبي نحوك لن يصطدم بواجبي نحو نفسي .

ولكن ... ما هذه النظرات القاسية في عينيك اليوم ؟

١٧ شباط

انا استسيغ في هذا المساء ذكر مرضك الاخير منذ ثلاث سنوات . مرضت يا اماه واشرفت على الموت ، وكنت آتي من المدرسة بعد ان اقضي النهار مرافقاً حماك وحرارتك وآلامك . آتي ، واقترب من سريرك سائلا عن صحتك الغالية ، ثم اترك البيت لاعود بعد ربع ساعة . ولم اكن ادري ان غيابي هذا القصير كان يولد الاسئلة على بعض الشفاه فيؤوله كل على هواه . وعدت ذات مرة ، وصودف ان الحديث كان يدور حول هذا التغيب اليومي . واكاد ابكي الان حين استعيد جوابك لهم ولمن جميعاً : « لا تتساءلوا ولا تتساءلن ، فيشال يذهب الى الكنيسة يتضرع الى الله لشفائي » . ما استطعت ساعتذاك ان احبس عواطفي ، فارتميت على السرير اقبلك واخفي الشهقة في صدرك . اجل يا اماه ، كنت اذهب الى الكنيسة ابتهل الى الله الا يحرمني عطفك والا يبعدك عني قبل ان اقدم لك بعض السرور في هذه الحياة التي ما عرفت منها الا الشقاء .

انا احبك يا اماه ، فكوني عزائي وكوني لي قبل الجميع وبعد الجميع .

الم تلمسي في منذمدة وفي بعض الليالي الصاخبة تقربا محسوساً منك ؟ كنت ارى الكل يبتعدون عني فاطلب العزاء بجانبك واقول : « ما همي لو بقيت امي وابتعد عني البشر ؟ » فبربك اماه لا تضعي في نظراتك شكوك غيرك وعتاب الناس !

٣ اذار

انا احس في امي «كلمة» تتلمظ بها شفتاها .

وهذا الشك يؤلمني . سأحملها على البوح لي بسرها ، على اطلاعي على ما يجول في خاطرها . ولكن ، لوكان سرها ما أتمثل ، لو كانت هي ايضاً تشك ، فهل استطيع احتمال هذه الصدمة ؟

ربي ! لا تحرمني آخر ملجأ لي بعدك ، فهو الرابط الوحيد الذي يوقفني عن التشرد ، عن الهجر ، عن الافلات !

٤٠

الاحد

قضي كل شيء، وها انا وحيد، وحيد، وحيد في شقائي والمي واحلامي.

عدت البارحة عند منتصف الليل الى البيت ودخلته وجلا لاني رأيت غرفتي لا تزال منارة . دخلت مبعثر الشعر ، وانا احمل تأثير عاصفتين : عاصفة الارياح وعاصفة احساساتي الجديدة . وجدت في مكاني اذ وجدت امي ووالدي الى جانبها ينتظران ايابي ، وكان حديث ، وكان عتاب، وكان لوم ، وكان تقريع ... « ما هذه السيرة السيئة ولدنا ؟.. ألن ترعوي عن غيك ؟.. وكل هذه العلامات المؤسفة ، الخجلة ... ومقالاتك الحرة ... البذيئة في الجرائد والمجلات ؟.. »

اكاد انشق هذا المساء ... « اليس من يؤمن بطهارة نيتي ؟ »

٤١

نصف الليل

على الاقل انت يا ربي ، انت تعلم اني نقي ، بريء من كل ما ينسب الي .

امي ! أاصبحت ضعيفة الايمان بولدك ؟ يا لشقائه اذ يفقد نظراتك المعزية !

٤٢

٢ تموز

شيطان التشرد يستولي على عواطفي الجامحة . ما هي العناية ... الالهية (؟) التي عرفتني في هذه المدة الاخيرة الى « بانايت استراتي» فجعلتني التهم تآليفه التهاما واعود بشوق الى قراءة « رباعيات الخيام» الى هذه الاناشيد الطليقة الحرة ؟

فكرة السفر تقض علي مضجعي وتنغص علي كل دقيقة احياها في هذا الجو الذي اعيش فيه . انا متعدد الشخصيات ... كياني يستوعب اكثر من واحد ... تراني اهزأ « بانا » ، بتلك الشخصية المحددة التي طالما تكلم عنها الفلاسفة والمفكرون ، وتراني ايضاً امثل دور « السافل » امام رفاقي بعد ان البسوني حياة السفالة واتهموني بها دون مبرر .

بعد اللوم اخذ العذاب ينغص على امي حياتها ، فهي تخشى علي وتخاف عني من هذه الحياة التي ترى بريقها يشع في عيني . هي تصلي كما تقول ، هي تصلي لابنها كي يعقل . آه ! ما احيلاك يا اماه !

٤٣

الجمعة ٢٠

ورد علي جواب من صديق بيروتي ، وسالة مؤثرة حقاً ، كلها عطف وفهم واخلاص . يقول لي هذا الصديق : « تعال الي ، فامر تدبيرك وحدك سهل ، والحياة واسعة اساعدك على احتمالها والانتصار عليها ... انا انتظرك مع بعض الرفاق الذين يقرأون مقالاتك والذين اصبحوا يتشوقون الى التعرف اليك ... تشجع واجعل الفراق اقل ما يكون قساوة على ذاك الشخص الذي طالما حدثتني عنه،وعلى امك، وسر الى الامام فالدنيا فسيحة والفضاء واسع .»

على ضوء الظلام اقرر الذهاب وسأذهب . اجل سأذهب ! وانا لا استطيع ان ابقى هنا اكثر من ذلك ، فالى الامام يا ميشال اولا تخش لومة لائم . سر وعين الام ترعاك ، واشواك الورود تفرش طريقك !

٤٤

١٦ آب ١٩٣٢ في ساعة جنون

عجيب هذا الكون بانسانه وحيوانه ونباته وجماده ! بل العجب كل العجب بهذا المخلوق العاقل الذي يسمونه حيواناً ناطقاً .

بوركت القوة التي افقدتني عقله وحرمتني نطقه ، فانا سعيد بابتعادي عنه ، موفق في عدم مخالطتي اياه .

مات بالامس شخص عزيز لدي ، دخلت الغرفة حيث وضع على سرير نظيف ، فرأيت اناساً يبكون ويولولون . ويا لضعفي ! كاد بكاؤهم ينزل الدمعة من عيني لولا جنوني . فسكت وتأملت مبتسما ، فحكموا عقلهم وطردوني من غرفة الميت .

مشيت وراء نعشه بصمت وخشوع ، فرأيت رفاقي يشيرون الي بالبنان قائلين : « يا ليته يبقى دائماً عاقلا » . ورنت كلمتهم في اذني فقهقهت ، فابتعدوا عني متحسرين علي .

جافاني الكل فحسدت نفسي على هذه السعادة،ولكنني ما قدرت قط ان اعادي اخي في الحيوانية فكنت دائماً اعامله معاملة انسانية .

كنت مرة مع آنسة ، وذاك في بدء عهدي بالجنون ، فجلست مديراً لها ظهري، فاذا امي تؤنبني . عدت فجلست ازاء الفتاة اسرد عليها النوادر واتغزل بها ، فلم يرقها حديثي . جن جنوني فبدأت بخلع ثيابي امامها . فشتمتني وتركت الردهة ودخلت غرفة في بيتنا .

ولكن يا لها من شيطانة . كنت اشعر على جسدي بنور عينها التي وضعتها على ثقب الباب تنظر الى جسمي العاري . فلم يعجبني كذبها فامتنعت عن المضي في خلع الثياب .

ايها البشر انكم لا أفاكون !

انا مجنون الان ولكني اهيء لكم ما سوف يدهشكم بعد حين . سأثور عليكم ولكن لبس بالنار والسيف . سأجعلكم تقلعون عن تعقلكم الجنوني وتعتنقون جنوني العاقل .

من لي برفعكم عن مستوى الحيوانية ؟

سأعمل لذلك وحدي لاني لا اريد صداقتكم فهي عبء ثقيل على كتفي . وها اني اهزأ برضاكم او عدمه لئلا اصبح مقيداً مضطراً الى مسايرتكم ! اريد الحرية المطلقة التي لا تقيد الا بمنفعتكم التي تجهلون مصدرها .

لا تعطوني رفيقة بشرية لحياتي ، وخاصة ان كانت من طينتكم العاقلة . اودها مجنونة مثلي لاطلقها من كل قيد .

سأرحل عنكم في الغد القريب ناشداً الخلود والعبقرية . ومن المحتمل ان اعود اليكم برسالتي على اولادكم يتفهمونها . انا احب هذا النشء لان فيه بعض بذور جنوني .

وان عدت اليكم محملا على الاكتاف او ارجعت الى ما بينكم حفنة من تراب فلا تبكوا علي بل ارقصوا حول جثماني متبركين ،

وذروا ترابي في ينابيعكم علكم تشربون ماء الحياة !

ما اجمل فتاكم الصغير يضم ابنتكم الصغيرة ! اودمن هؤلاء تلاميذي في الجنون .

رأيت مرة فتاة تسير عارية في شارع عمومي من مدينتكم الكبيرة. فاحاط بها الناس ساخرين وغضبى وفضوليين، وتبعها الغلمان متسائلين. ولكن نظري خرق جسدها البض المعرض الى روحها القوية المتمردة فاردت خطفها من بين جمعكم لانها اختي في الجنون .

وفي العام الماضي بصرت بشاب يمشي ليلا على الثلوج والامطار تهطل والزوابع تعصف وهو ينشد اغنية الحب والامل . فهممت ان آخذ بيده مرافقاً ، غير اني خفت ان ازعجه في يقظة حلمه فحملت شطبة نخل ومشيت وراءه معجباً به وبنفسي .

ايها الرفاق !

ما لكم وللطوارئ ؟ انتصروا على البشرية جمعاء ، واستعبدوا الطبيعة والطبائع ، وآخوا المخلوقات بكاملها عاطفين لا راغبين . اذ ذاك لا آنف من ان اؤاخيكم ، فاضع يدي بيدكم ونسير معاً نحو الكمال ، نحو الالوهية !

حبيبتي !

قالوا لي بالامس انك تعشقت سواي ! فلم اعجب لهذا ، وانا الذي كنت القنك التنقل واعلم قلبك التبديل !

غير انك ان انكرتني فسوف اعرفك دائماً لهذه المبادىء الاولية التي طبعتها في عقليتك والتي لا تقدر السنون على محوها .

لقد حملتك ايتها الفتاة كنزاً سيكون فخرك في مستقبل الايام! ويكفيك خلوداً انك تتلمذت لي في زهرة عمرك .

سيري ! لست آسفاً على فراقك فانا متبدل ، متغير ، متقلب ! انا ... انا مجنون ...

٢٥ آب حديث مجنون بائس

معربة عن «العلم الفرح» لنيتشه

« ان ما كتبته على الطاولة والحائط بقلبي ــ قلب مجنون ــ ويدي ــ يد مجنون ــ يجب ان يزين بنظري الطاولة والحائط .

ولكن وا اسفاه ! اسمعكم تقولون : « ان يدي المجنون تخربشان، ويجب ان تنظف الطاولة والحائط حتى يمحى كل اثر سطرتاه . »

الا اسمحوا لي ــ ها انذا اتقدم لمساعدتكم لاني تعلمت استعمال الاسفنجة والمكنسة كنقاد وكأجير.

ولكن عندما ينتهي عملكم ، كم اود ان اراكم ــ انتم ايها الحكماء العظام ــ كم اود ان اراكم تملأون بقذارتكم الطاولة والحائط ! »

تبلور

كل ما يجري في الحياة هو طبيعي ومبارك
عند الشاعر والحكيم . وهما يريان كل
الحوادث نافعة ، وكل الايام مقدسة ،
وكل الناس آلهة . (نيتشه)

ليلي الثاني في بيروت

نفضت عن كتفي غبار الماضي و كل ما يعلق بي من فتات تقاليده وآلامه .

حملت فوق جسمي رداء ، وفي حقيبتي بضع وريقات وكتب ، واتلفت اشياء كثيرة كنت اغار عليها واحتفظ بها ، وخففت عن مركبي ثقل احماله ، وسرت في عباب بحر جديد .

تركت اهلي لا تمكن من تأمين شخصيتي بل شخصياتي ، وفتحها للانعتاق ، وتأدية رسالتي .

كم كان ذلك فظاً مني . ولكن ، علي قبل كل شيء ان احقق انانيتي وذلك بشجاعة وحرارة .

أخيراً ها انا وحدي مع نفسي ! قضيت الليل الاول ساهراً ! الان انا حر ! استيقظ ساعة اشاء ، وانام واتغيب ساعة اشاء ، دون رقيب ولا عزول !

استقبل من اهوى .

هذه النافذة نافذتي ، هذه الخزانة لي .

هذه الغرفة بيتي الخاص .

٥٤

بعد بضعة اشهر

أتلقى بعض الكتب من اهلي يسألونني فيها عن عملي الخارجي ويتفحصون كثيراً حياتي المادية ، وهذا قد يكون آخر هم عندي . واری كثيراً من الذين تجمعني بهم الظروف والمناسبات فاتعرف عليهم يتساءلون ايضاً عن هذه الحياة ، فاتهرب دائماً من الجواب ، لاني اود لو لم يقق مني الا ما يمثلني ، الا ما هو مختص بي ، له تأثير في نفسي وعلى من يحيط بها . كم وددت لو يحدثني هؤلاء عما ينشر لي ، وان يتبسطوا معي في المسائل التي اثير البحث فيها في مقالاتي وفي احاديثي . انا متضعضع حتى اليوم ، مشتت القوى ، ولذا يثبت عندي ويتمكن اخراج كتاب هو انا في الماضي وهو انا في نزعاتي المقبلة الحائرة . ماذا يهم الناس ان تكون الماديات مصدرها وظيفة اشغلها ، أو عمل يدوي اقوم به ، او اي نوع آخر يدر علي بعض المال . ما استطعت استعمال المال حتى اليوم الا كواسطة ولم انظر اليه ابداً كنتيجة . ولكن أراني صريحاً مع نفسي ؟! الم اتألم احياناً لضيق ذات يدي ؟ او لم امتنع عن مسائل عديدة قد يكون لها تأثيرها حتى في حياتي العقلية وذلك لحاجتي الى المال ؟

كم كان سروري عظيما لما وقعت منذ مدة على رأي مدير احدى الجامعات في فرنسا ، اذ حدد القيمة الشخصية في الانسان بمعدل اثنين من عشرة للثقافة المسلكية او عمل الانسان الخارجي ، وثلاثة من عشرة لثقافته الشاملة ، والخمسة الباقية لقيمته الادبية العامة .

ترددت مراراً، وتأخرت في عدة مناسبات عن مراسلة اهلي لانني ما وجدت الا ساميات مضجرة احدثهم عنها .

فاني قدقررت ان احتفظ بشكوكي كلها وحدي، وان اتحمل مسؤوليات اعمالي مع نفسي . كل ما اصبحت ارجو من اهلي وخاصة من امي ، هي تلك العاطفة الوالدية وذاك الحنان الاموي الذي أنا بعض الحاجة اليها .

ولكن لا ! فاني لو بلغت في عمري الزمني المئة وأصبحت اسعد الناس سينقصني دائماً هذا الحنان الذي ما أحسسته تاما ولن احسه. وددت ايضاً لو استطعت القيام بواجباتي المالية نحو من صرفوا علي ، ومنعوا عن نفسهم كثيراً من الملذات ومن الضروريات ليحفظوا كياني الجسدي نامياً ، زاهياً .

ولكن ما ضرني العوز في حاجياتي طالما ارى نفسي تنمو وتزدهر وتتكامل .

في هذا المساء وفي كثير من الامساء غيره، لم اتناول طعام العشاء ضناً ببضع دريهمات اوفرها لارسلها الى اهلي موهما اياهم اني في غنى عنها . ساعات آلامي عديدة ولكن احس في نفسي شجاعة على احتمال كل شيء في سبيل انانيتي التي ضحيت لاجلها بسعادة بليدة ، تمناها كثير غيري وعاش في مستنقعها .

ترى قواي تهن لما أبديه من نشاط في سبيل انهاء ثقافتي وتوسيعه فانا أقضي شطراً كبيراً من الليل ساهراً ، منتقباً ،داوساً .

الوقت

في بعض الاحيان تأخذني الشفقة على هؤلاء الناس الذين يقضون ساعات طوالا عديدة أمام الطاولة يلعبون ويلعبون. ولكن لم ألومهم ولكل نظريته في الحياة ؟ من الضروري ان نلتقي مثل هؤلاء ، لان الشيء يظهره الضد . ولكن ، يا الهي لا تجعلني ابداً اقترب من مذابح هذا النوع من البشر !

٤ اذار ٩٣٣

في هـذا الصباح ذهبت الى ج.خ. وأخـذنا نتكلم عن هـذا وذاك ممن ذهبوا ينهون علومهم في الجامعات الغربية . ثم حدثني عن نفسه وعن رغبته في متابعة دروسة العليا .

ففكرت عندئذ بنفسي ، كيف اني امتنع عن الراحة والاصطياف ، وانهك قواي لاضمن مستقبلي . ما عـدا الصـدمات التي تصيبني في حياتي العائلية والاجتماعية والعاطفية ! ومع كل هذا تراني مكباً على العمل... يسائلني الناس عن هزال جسمي متعجبين . اما انا فتعجبي يكون من حالة معاكسة لهذه .

حقيقة ! ان من كان مثلي لجدير بالاعجاب !

اني اكاد اختنق عندما ارى الناس غير قادرين اجتهادي ، عندما انظرهم لا يعتبرون سوى المال والمقام الوراثي ، عندما المس تبعة الاباء حالة على اولادهم !

وان قلبي ليثور احياناً على من عرفني ولم يقدر على ان يرى في الشاب الطموح الذي سيصبح رجلا كل الرجل في مستقبل ايامه !

مهلا ايا قلبي واصبر دائماً ! لا بد يوما ان اصل الى ذروة المجد ! ساعمل لاجل ذلك بكل قواي ! وان خانتني الجسدية منها فوهن الجسد تحت نزعات الروح والعقل ، فالسلام على حياتي الدنيوية !

لا ارغب في العيشة البسيطة الوضيعة !

إما الخلود واما الموت .

الخميس ٦

عزيزتي صوفي

كنت قاسياً في ساعة الوداع ،ومنذ مجيئي بيروت لم اكتب اليك بعده،سامحيني، لاني ، منذ تلقيت ابتسامتك بلطف وبادلتك اختها ، كنت عالماً ساعتذاك اني سأتركك يوما شقية في وحدتك ،وابتعد عنك ملبياً نداء رسالتي العالي ، نشوان في اغنيتها العذبة .

١٤ نيسان

تراني اسير طبيعياً الى التعارف الاجتماعي ، واوى محيط اصحابي يتسع . ولكن اعد ذاك ايضاً من ضيعان الوقت . في علاقاتي خجل ، وفي زياراتي تردد . تراني كأسكار وايلد بعد خروجه من السجن «ترى،ما هو سجني انا؟» لا ارغب في الظهور امام الناس قبل ان أعطي شيئاً من تآليفي ، قبل ان اعرّي نفسي امام الناس . على الاقل اصدار هذه اليوميات او القصة التي اصبحت ناضجة في عقلي وعلى دفاتري .

٦٠

الجمعة ٢١

في بعض حالات نفسية ابتعادي عن اعز اصدقائي وتعجبهم من ذلك • ذاك يذكرني بمحادثة مريم المجدلية مع يسوع بعد القيامة . قال لها يسوع : «لا تلمسيني » • والانجيل لا يذكر شيئاً عن تعجبها اذ ذاك • ولكن ، كم اتمثله كبيراً ! هي ، هي المقربة اليه ! لم يعد يحق لها ان تمسه ؟ • • •

الاثنين مساء

اری بعض اللذة في تعاطي الصحافة ، وانصرف بحماسة الى القاء المحاضرات .

ولكن ، كم من مرة كنت انتهي منها وفيّ اسف لانني لم اؤد فكرتي بكاملها (على الاقل كنت المس ذلك بنفسي) .

انا احلم باشياء فائقة عديدة واتألم ،عندما لا اتوصل الى تحقيق واحدة منها .

جربت وتراني اجرب دائماً ايجاد بعض حركات عامة منها اجتماعية ومنها ادبية ، ولكن ما يضايقني خاصة في احتكاكي مع هؤلاء الشبان ، هو نقص الهمة والتنظيم في اعمالهم . وترى فتورهم احياناً يكاد يدب الي لولا حماستي وسيطرتي عليهم .

على كل انا مسرور في هذا الحقل من العمل ، فقواي تنتظم وشخصيتي تتكون .

٧ ايار

اني اجد لذة عظمى وفائدة كبرى في قراءة تراجم الناس ، لاسيا العظام منهم !

قرأت في خلال هذا الشهر ترجمة نيتشه ، المفكر الالماني العميق. وقد اعجبني فيه تلك القوة التي تشع من كل سطر من كتاباته ، وذاك الاندفاع الذي جعله يسخّر الطبيعة ، ويضعف قواه الجسدية لتأدية الرسالة التي وجد لاجلها قبل ان يدركه الموت . وهو الذي قال : « اني لا افتش عن السعادة بل أسعى للعمل » . ومن رسالة لشقيقته بعث بها اليها يوم اشتدت عليه وطأة المرض وهو شاب يعد : « ان الآلام التي كابدتها ، والملذات التي حرمتها نفسي ، خاصة في هذه السنة ، تخولني الحق كي اقارن حياتي بحياة هؤلاء النساك المتقشفين . غير اني جنيت فائدة عظيمة من هذه الحياة الزهدية ، فان روحي قد زادت طهراً ومحبة . واني لمؤمن اني قد اديت رسالتي في هذه الحياة على قدر ما امكنني الوقت . فقد سكبت لكثير من الناس قطرة من الزيت الصالح وجعلت عدداً كبيراً منهم يميل نحو حياة مملوءة نوراً وصفاء . »

وقد اجتمعت واياه في محبتنا للحياة . قال من قصيد :

« اجل ، ليس لصديق ان يعز صديقة ،

قدر ما احببتك ايتها الحياة الملأى من الاسرار.
احب فيك سعادتي كما اتمشق بؤسي ،
وأودّ ان اضمك بكل قواي ،
فدعي شعاعك يلمس نفسي !
وان تعذر عليك توطيد هناي ،
فانا راض ، يا منيتي ، بشقاي ،

طالعت بعد ذلك سيرة « مونتان » . وان كنت لم اتفق واياه على شكه الدائم العام فقد اعجبتني حياته . وليت القدر لا يعاكسني لاستطيع يوما ان افعل مثله ، فاقرن الى المعلومات التي استقيها من الكتب ، غيرها المسها في الشعوب المختلفة التي سأتعرف اليها . اريد ان اتجول باحثاً عن تقاليد غير تقاليد بلادي ، دارساً وجوهاً غير وجوه سكانها ، منقباً عن النفسيات البشرية على اختلاف نزعاتها وميولها . اريد ان ارى الرجل الديني في وثنيته والحاده وكفره وتعبده للاله الواحد السرمدي الخ ...

لا احب « المستنقعات » ،بل النهر السائر دائماً الى الامام .

كتبت الفتاة الروسية « ماري باشكرتسيف » في وصيتها :

« اموت طاهرة القلب والفكر والجسد . »

وكانت لم تعط في حياتها كلها الا قبلة واحدة الى شاب احبته .

غير ان تلك الفتاة رغبت في الخلود ، فندمت لاعطائها تلك القبلة الوحيدة ، وعزمت على ترك الحب المجسم في شخص الانسان لتنصرف الى الحب المجرد المطلق .

سمعتْ صوت العبقرية فاجابتها « ايتها الالهة ، اطمئني نفساً . ليس بياترو الا العوبة ، او موسيقى تسكّن تحسرات نفسي . مسكين انت يا بياترو ! ان شهرتي المستقبلة تمنعني من ان افكر فيك لاهية .وها صوتها يؤنبني على ضيعان بعض الاوقات التي اقضيها خالة بك . »

وكأنّ شعوراً داخلياً كان ينذرها بحياة قصيرة ، فكتبت وهي في الخامسة عشرة من عمرها : « اني اجف في خمولي واعفن في الظلام ! اريد الشمس ، اريد العمل ، اريد النور . »

كان لها في الحيـاة هدفان : الحب والشهرة . عرفت الاول منذ صغرها، فكان لها عزاء في مرضها الاخير بشخص استاذها في الفن . ولم تدرك الثاني الا في قبرها حيث دفنت نضرة في الربيع الثاني والعشرين من عمرها . عاشت قليلا لكنها عملت كثيراً : كتبت لنفسها ، فاذا بدفتر يومياتها وبرسائلها تطبع دليلا على نبوغها . رغبت في الموسيقى فخانها الصوت . فتشت عن الخلود في فن التصوير فخطفهـا الموت الغشوم ساعة وقت ريشتها غير تاركة لنا سوى رسمهـا ورسم آخر خالدين .

ذبلت تلك الزهرة ولم تمسها يد ! ولكن كم قالوا فيهـا وقوّلوا . غير ان نفسها كانت اعلى من ان تصوب السهم نفسه الى عدوها وهي الفتاة الضعيفة، فكتبت ودونت : « يا للتعاسة ! تمر بي ايام سوداء تجعلني تعسة ، يائسة . كم لفقوا من الاشاعات التي راجت وصُدقت . مع اني طاهرة كل الطهر ! وعندما افكر بذلك ، ادرك خبث النـاس كيف انهم لا يعتنون ولا يدينون الا بالظواهر. كل هذا يمزق قلبي . يا لشقائي! تمر بي ايام سوداء تجعلني تعسة ، يائسة . ارى الافـتراءات تصب علي من كل جانب، مع اني لم آت عملا شائناً نحو احد حتى ولا نحو نفسي .

الاربعاء (؟)

يزعم دي بلزاك ان المرء لا يكون كاملا ما لم يكن عنده ست نساء :

١ ــ زوجته الشرعية .

٢ ــ امرأة قلبه .

٣ ــ امرأة عقله .

٤ ــ امرأة تقوم بتدبير المنزل .

٥ ــ امرأة اهوائه وطيشه .

٦ ــ امرأة يبغضها وهو يركض دائماً وراءها ولا يدركها .

الا يمكن الزوجة الشرعية ، اذا كانت حكيمة ، ان تقوم وحدها مقام اخواتها الخمس وتضم الى صفاتها صفاتهن جميعاً ؟

« ليس الحب هو العدل ، لا ! ولا هو الواجب ، حتى ولا هو اللذة ، انما هو يضم في خفاياه كل هذه الاشياء . » «فرانز ليزت»

صحوة

التعليق على هذه الفكرة ، ان هذا الشاب قوي التفكير ، منظم الحياة لان له عشيقة ، (هو افق يملأ رغبات نفسه فيتفوح).

احدهم لا يستطيع ان يكتب الا بعد ليلة حمراء .

رأي نيتشه في الطهارة : هي مسألة نسبية. قد تفيد الطهارة بعضهم، وقد تقتل البعض الاخر . تمكن البعض من قضاء شباب طاهر هادىء واضطراب البعض الاخر لهذه الطهارة .

جوابا لبعضهم

عدم بغض الناس لانهم ليسوا اهلا لذلك . على الكبير ان ينازع كبيراً مثله . لذا : الشفقة عليهم .

يطلب مني البعض احياناً ان ادافع عن نفسي تجاه بعض الحملات، وابرر عدداً من اعمالي لابعد عنهم الشك ، او اساعدهم على فهمي. ولكن ، متى كان الخالق يضيع وقته ليشرح للناس دواعي اعماله ؟

٦٨

فقير

هو اليوم فقير . وذلك ليس لانهم سلبوه كل شيء، بل لانه رمى بكل شيء بعيداً عنه . وماذا يهمه ذلك ؟ فهو متعود ان يلاقي . وليس غير الفقراء لا يحسنون فهم فقره . (نيتشه)

العناد والوفاء

العناد يدفعه للتمسك بشيء يرى وجهات الضعف فيه . وهو يسمي ذلك وفاء .

السبت ١٠ تموز

اميل بنوع خاص الى الشابات والشبان الذين تساعدني الظروف فألتقيهم في طريقي . ان دائرة حياتي تتسع او قل تكسب في عمقها ما تفقده في انبساطها . عندي كره للعلاقات السريعة الزائلة . فنفسي تريد ان تكون نفوساً اخرى عديدة تماثلها في الشكل وفي النزعات . وفي حبي اتساءل دائماً ان لم اكن احب شخصي ونفسي في من احب . لو جردت هؤلاء مما يحيا مني فيهم هل احتفظ لهم عند ذاك بهذه العاطفة في قلبي ؟

٧٠

١٥ آب ١٩٣٢

الحب الابدي الوحيد... كلمة طالما سمعتها تتردد على شفاه الناس. وكم من مرة عاتبني اصدقائي لتنقلاتي الغريبة الشاذة، ولاموني لما اولد من شقاء في قلوب محبيّ، اذ ابتعد عنهم او ارغب الى سواهم. لم اكن اشرح لنفسي سبب تغيري هذا الطبيعي. ولكن تراني الان كأني مسير بمبدأ اراه يزيد وضوحا امام عيني.

مبدإي في المرأة المثلى

ان نفس الانسان الفتية، المتشعبة في مراميها، ترغب في كل ما يجيب صدى نزعاتها. وميولها عديدة: فهي تحب الموسيقى، فترتاح اليها مجسمة في الآنسة ب.. هي تحب الحرية، فترتمي في احضانها مجسمة في الانسة ن... هي تحن الى الاوساط الادبية، فتجتمع اليها مجسمة في مدام ف...

وهكذا تتنقل كالفراشة. وان لم نجنّ في حبنا فلا نستطيع ان نوقف كل عاطفة عندنا وكل دقيقة من ايامنا على عبادة شخص واحد. ولهذا نحن متقلبون... ولهذا، انا متقلب.

يجب ان اشرح ذلك لصديقتي ا.. وانتظر ان تذكرني به هي نفسها، لاني قلت لها في آخر نزهة لنا: ذكريني، لثاني مرة نلتقي، كي احدثك عن منافساتك عندي، اعني الفتيات اللواتي يرافقنك في احتلال قلبي.

١٧ آب

هل يولد هذا المبدأ عذابا في نفس من يسير على هداه ؟

ولكنه ايضاً يعذب بمرارة اشد ايلاما اولئك الذين او اللواتي يطبق عليهم وعليهن .

مساء الاثنين

الم اجتز ، في الشهر الاخير ، مرحلة كان علي خطر فيها ، خطر الحب الوحيد وربما الزواج ، عندما تعرفت الى الانسة نوال خ. ؟ ولا ادري ألسعادتي ام لتعاستي تركت هذه الانسة بيروت ، مفتشة عن حياتها المادية ، مسيرة بارادة رؤسائها في تلك الشركة التي كانت تشتغل فيها . فقد ارتأى هؤلاء ان ينقلوها الى حلب ، فكان عليها ان تؤمن وظيفتها وان تذهب ، وكان علي ان اذعن لقرارها بل لقرارنا الاخير يوم فكرنا بحياة موقتة لها سعيدة .

ولم تراني افكر دائماً بها ؟ لم ارافقها الا قليلا ، ولم اذهب اليها الا نادراً . ولكن لا ! ارى هناك اسبابا عديدة تحملني الى ذكرها دائماً بحنان وشوق . فهي كانت تمثل عندي الفتاة التي ابحث عنها منذ زمن بعيد . فيها تجسمت اكثر ميولي وفيها تمثلت رغبات نفسي العميقة . هي حرة ، حسناء ، ذكية ، تعيش براحة مما تكسبه

وتسكن منفردة في بيت صغير ، وحيدة لا رقيب عليها غير نفسها ، ولا مسيّر غير قلبها.

كنت اذهب اليها في دقائق نشوتي وساعات حزني ، في تلك الاويقات التي يحس القلب فيها حاجة الى الانفتاح ، الى السلوى ، الى التعزية ، اذهب اليها ساعة اشاء واسند رأسي الى نظراتها الحارة واحدث واستمع وأسر لان هناك من يسمع ويفهم ويحدث .

كانت نوال خ. تجمع عندي صفات الرفيقة ـ الزوجة ؟ ـ التامة . هي لعقلي ، وهي لنفسي ، وهي لغرامي ، وهي لميولي ، توقظ فيّ الامل والرغبة والسعي .

وبما ان كل هذه النزعات لا تزال تكون سائري الحاضر ، وهي لم تنفتق للحياة الا ساعات قصاراً بجانبي. لذا لا ازال اشعر ببعض الانكماش والالم عندما امر تحت نافذة غرفتها ، تلك النافذة المحبوبة التي تولد فيّ ذكريات حلوة .

١٤ ب١ ١٩٣٣

قد انتهيت من قراءة (جرم وعقاب) لدوستويفسكي . كم احسست بالاخوة التي تجمعني ببطل هذه القصة ! كم هو مؤلم الشعور بالتفوق على الناس، والسمو على حالتهم الوضيعة، ترافقه حقيقة هي سيطرة هؤلاء ونجاحهم وغنائم دون ما مبرر . « احس باجنحة تمتد حتى الافق ولكني ارى كل شيء يصدم انطلاقها في الهواء ، وسبب كل هذا هو فقري المادي ، وولادتي الوضيعة . هل اسلم بكل هذا ، وارضى بانزوائي ، وا كتم آرائي ، واقتل قلبي ؟ كلا ! ثم كلا ! ثم كلا ! ما يمنعني عن السير والوصول ؟ ما او بالاحرى من ؟ اي اله واية شريعة؟ اريد ان احقق رسالتي سائراً على الاجساد ، داعساً عليها جثثاً مفككة بالية . »

هكذا تكلم صديقي البطل ثم ارتكب جريمته بقساوة هائلة ... ولم يقف عند جريمته الاولى ، بل اراد انجاز غيرها وانجز . ولكني احست عنده بعض الاضطراب في ضميره : لقد بدأ يقلق ، لقد اخذ يسمع صوت الاله مناديا : من قتل ؟ وكأنه ود لو يشجع نفسه فقال في لغته الصريحة : « الانسان نوعان ، آكل او مأكول » .

تراني اعتنق المبدأ الاول . ولكن ، كيف اوفق بينه وبين حبي غيري، وعطفي عليه، وتجنبي عذابه ؟ على كل لقد استطعت ذلك عملياً حتى اليوم ولعلي اظل موفقاً فيه .

٢٧ ت ٢ ١٩٣٣

ارى صديقي متخوفا علي، فقد اصبحت اقلقه في نزعاتي وفي اعمالي وهو دائماً يدعوني الى الهدوء، الى الطمأنينة، الى الاندماج في الحياة المحيطة بي. هو يحدثني عن كل ذلك، وفي صوته رقة الاخلاص، وفي توسلاته عذوبة الوفاء. اجل انا ارضى في البحث معه في ما اعمل، وهو سريعاً ما يعتنق مذاهبي ويذعن لارائي صامتاً وفي النفس ما فيها. يخاف علي تحليقي، ولكن، كم من مرة قرأت له قصيدة بودلير «شكاوى ايكار» وجعلته يحس مع هذا البطل يوم ترك السجن وحلق في الفضاء متخذاً لنفسه جناحين من الشمع، وما زال يحلق وينتشي باتساع الجو امامه، وبقوة النور يدنو من عينيه حتى اصبح على بعد قليل من الشمس فسال جناحاه وهبط. هبط الى عباب الماء وغاب في لججه! يا لتعاسة ايكار وامثاله في نظر من يشاء! ولكن يا ما احلامهم في نظري! يا ما اقربني اليهم!

يجب ان يعيش الانسان في وهمه وخياله في هذه الدنيا! فان الحياة بدون اوهام، بدون احلام، لا لذة فيها لي. اعيد ذلك لنفسي لاني بحاجة اليه بعد صدمتي العاطفية الاخيرة، انا بحاجة ان اقنع نفسي ان آفاق الحياة واسعة، ان الانتحار ضعف، ان القوة في استقبال جميع الاحساسات مهما بلغت في غرابتها القاسية.

عند عودة صباحية

العقل والتعقل !!! هذا ما اسمعهم يرددون في كل ثانيــة • واني لمعجب ممـا يقولون اعجـابا يمـازجه بعض الاستغراب . فماذا فعل هذا العقل الذي يتبجحون به ؟ اراه دائمـاً يصادم النفس ،ويوقف القلب كلما رغب في الانفلات • ولذا نرى التضحيات ترفض الاذهان له •هو يجعل السمو ضربا من الجنون ، والمجازفة نوعا من السخافة ، والقصائد نزوة احمق، هو يقبّح ما هو اهل لان يحيا الانسان لاجله •

العقل يفرض على الانسان حفظ كيانه ،هو نفعي ، يجعل الحياة ثقيـلة الظل على النفس الوثابة ، ولذا ترى الحب القوي يحتقره،لان من يحب لا يعود يعيش لنفسه فقط ، فحياته تصبح واسطة للحب • وهو لو وجد اليه سبيلا احسن منها يزيد اتحاده بالمحبوب، فهو عندئذ يهمل حياته الدنيوية هذه ، ويطرحها جانباً وينساهـا • لم احس قط بسعادة فائقة •لم يرفضها عقلي وتعقلي •

(اقتباس)

الاحد مساء

بالامس القريب عادت الي ا ... تذكرني بوعد لي اصدرته لها منذ زمن بعيد ثم حنثت به -على زعمها- وابتعدت عنها، واردت ان اكون مخلصاً في حديثي ، فكلمتها عن وعد لي جديد اصدرته عفواً وبايمان ثابت الى رفيقة لها فكادت تهزأ بي وتضحك من حبي انثره شتاتاً هنا وهناك ، وكادت تجرحني في عاطفتي . ولقد تذكرت ساعتذاك عتاب بعض اصدقائي اياي وتعجبهم من تقلباتي الدائمة . وانا اليوم افكر بما ادافع به عن نفسي او بالاحرى افكر بشرح نفسي لنفسي وبارسال اضواء جديدة على المعتم من حركاتها ونزواتها .

الاربعاء

لقد وفقت الى ما انشد . ونشرت في عدد البارحة من مجلة «النور» مقالا اسميته « وعد » . لي رغبة شديدة في ان انقله هنا في دفتري .

وعد

وكان ان تخيلت فيك شيئاً من مثلي الاعلى فارتاحت نفسي الى وجودك واردت هذا الوجود الى قربي . كان كياني القوي يحن الى ضعف ينشله من هوته فتراءيت لي بضعف الفتاة الناحلة المستغيثة ، وكان ما قاسيته من عذاب يدفع بي لمؤاخاة معذب مثلي فوجدتك في طريقي تئنين ، وكان فيّ طموح ابعد عني كل محافظة للتقاليد فبدت الطموح مجسماً فيّ . وخيل الي يومذاك ان بينك وبين محيطك تنافراً وبغضاً فقلت : عل في نفسها ما لا يفهمه هؤلاء . وكانت تمر بي ساعات من الجنون ارتفع بها الى الخلود احياناً وادنو من هوة الانتحار احياناً اخرى ، وكم كانت تجمعني بك ساعات جنوني فترتاحين الى حديثي وتعتنقين مبادىء انتحاري وتثبين معي الى ما فوق الخيال ، الى سمائنا الخاصة .

وضعفت نفسي في بعض ساعات حنوها فرحت معك نطوف شوارع البلد غائبين عما يحيط بنا من بشر وغزونا الحقول والغابات نستمع الى قلبينا ينشدان اغنية الحب والامل ، ووقفنا على الصخور ، على شواطىء البحار وانزوينا في الغرف نستمع الى موسيقى عذبة اللحن عميقة الحلم وتعرفت شفتانا الى قبلات وددنا لو دامت العمر وتعرف جسدانا الى سكرة الوصال وبكى قلبانا فعطفنا نرتشف

الدموع ونستلذ امتصاصها : فكنا في بعض الساعات انت انا وانا انت.

ولكن مرت بك اويقات عدت فيها الى ضعف بنات جنسك. وفي دقيقة كنت فيها اسبح في عالم احلامي سألتني ان آخذك رفيقة شرعية لحياتي . و كنت لا ازال اتمثلك شيئاً من مثلي الاعلى فرضيت وصدر مني وعد يومذاك بما رضيت .

ولكن لست ادري من ألوم في حبوط احلامي بعد ذاك الوعد .

وحنا طول اسبوع بعد وعدي نسمع شواهد حبنا الاول صدى هذا الوعد . ولكن لست ادري. كنت لكل مرة اسمعك تطلبين مني ترديد كلمات الوعد اشعر بان هوة تنفتح بيني وبينك. كنت اخاف ان يكون الوعد قد اصبح كل ما ترغبينه في .

وكلما ازددت حياة في مثلي الاعلى عبدت امرأة احلامي الاولى - اي انت في عهدنا الاول - وابتعدت عنك مجسمة في كيانك الحاضر .

وكانت صدمتي الاولى العميقة التي ارتجت لها دنياي وتحول من شدة تاثيرها الكون في عيني . كيف تبدلتِ وكيف تغيرتُ؟ كيف نقمتِ وكيف انتقمتُ؟ كيف اصبحتِ وماذا صرتُ؟ ذاك ما تقرئينه في اليوميات التي تلي هذه الكلمة .

ومضت سنتان ... همت في اولها انشد الخلود في العذاب والعمل أكتب وأكتب وأكتب وليس سوى نفسي او من آخى نفسي عرف بما كتبت .

وكان يوم لا استطيع ان اجزم فيه رأبي الان... في ساعة كان قلبي فارغاً من حب مجسم متعطشاً للمحبة اطل نور من نافذة العالم الذي احلمه .

فبدلت حياتي ... واتخذته هداية لي . وكان ان تابعت حلمي الاول الذي حطمته ... فعرفتني الصخور من جديد ... وخاطبت البحر بلغتي الاولى ... ووطأت قدماي البراري والغابات وطفت في الشوارع ... واستمعت بلذة مع هذا الامل الجديد الى اناشيد الطيور وموسيقى الآلات... احببت... ولكن لا ! ليس من جديد ولا للمرة الاولى... بل رأيت نفسي ما ازال محباً حبي الاول الجنوني... ولكن يجب ان تعلمي ان خيال ذكرياتنا رافقني مرات وآلمني شديد الالم ...

ورغبت من كانت نوري في ان تصبح هي انا وانا هي... فتواعدنا على الاتحاد في الحب حتى الممات... وكان وعد... وعد صدر مني بكل ايمان واخلاص ، وعد ارسلته لاني حسبت نفسي حراً طليقاً اهدي قلبي من اشاء .

وبين وعدي الاخير ووعدي اياك ، صدرت مني وعود ايضاً غير انها لم تكن بشدة هذين الوعدين .نفس حائرة هي نفسي ، تفتش عن رفيقة لها ، وكلما لمست شتات رفيقتها في الطريق حنت وضعفت ووعدت متألمة .

اتيت بالامس القريب ـــ وانا لا ازال جاهلا تمام الجهل دافع مجيئك ـــ اتيت تذكريني بوعدي وتبكين وتحنين الى ذكرياتنا الماضية . ذكرت الوعد ـــ وعدي اياك ـــ فتضعضع تفكيري ولم يسمح لي اخلاصي الا ان احدثك عن وعدي انا ...وعدي اياها، حبيبتي اليوم .

الوعود !!! هي قيود ستظل معذبة نفسي حتى النهاية. ظلام ساكن يحيط بغرفتي ، وعواطف جائشة تتقد في اعماقي...

وما من شفاء الا في الكتـابة ـــ وعلك عندما تقرئين كتابي هذا تفهمين نفسي فتعطفين سامحة .

وعدي كان للمثل الاعلى الذي حلمت به فنفسي مرتاحة اليه ، مطمئنة . وقد اقسو وابدّل متى ابتعدت حبيبتي عن هذا المثل . انـا حالم بشقائي ولكن دقيقة واحدة احياها في جوي تعادل قروناً من ايام البشر السعيدة

ربي! قد يكون حلمي اليوم العودة الى عالم الحقيقة ولو لمدة وجيزة

٢٧ ك١

وتضيق بي الايام ولا تستوعبني الليالي فاتابع الحياة في اوهـامي وفي احلامي . ساظل دائماً قلقاً تعساً .

الاربعاء ٥

لم اشرح لنفسي ابداً هذا « التقزز » الذي كان يستولي علي عندما انتهي من لذة جسدية غالباً ما لا تكون مكتملة .

والليلة البارحة ... وعند الساعة الحادية عشرة كنت عائداً الى البيت فشاهدت جارتي اللطيفة بعد سهرانة ، وهي تحلم متكئة على نافذة غرفتها .

دخلت غرفتي وجلست الى نافذتي اتطلع بشوق وبتبكيت ضمير الى جارتي التي تمثل لي ملكا طاهراً فيه نقاوة الزنابق وبخور الالوهية .

وقفت اتطلع اليها وافكر ... افكر بماذا ؟ افكر بالتوبة ، بالتوبة اليك يا ربي واليك ، اليك ياحبيبة خيالي .

ان الحياة التي رغبت فيها هي التي حملتني على الابتعاد عن محيطي الاول وعلى ترك عقائدي الاولى كلهـا ، وعلى نبذ كل سلطة ، وعلى الانغماس في احساسات الحياة كلها. ولكن تراني في هذا المساء افكر طويلا في ان حياتي معك لن تمنعني عن رسالتي، ولقد يكون بامكانك ان تجعليها كاملة هادئة . ساحدثك في الغد القريب عن نزعاتي كلها علك تفهمينها فهما تاما فتعيدين بعض الهدوء الى جوي المترجرج .

غرفة

[illegible]

١٩٣٥

انا نائم وقلبي مستيقظ

(نشيد الاناشيد)

١٩٣٦

انا ونوال

« دنيـانا سرير ،
والصلاة عربدات ...
في صدرنا حمّى الهجير،
اوقدتها الآلهات .
نامي ! فذا النوم قرير ،
ما بعده من سبات! ..
ما لنـا وللمصير ؟
ما لنا والكائنات ؟ ! (١

(١ مقطع من يوميات ميشال سرور في اواخر ١٩٣٦ .

لوحة

يوم الهدايا

اجل ! ان قديسيك قد استأثروا بكل فضيلة ، يا ربي ٠

ولكن هناك خطاياي تبقى لي وحدي ٠ وغداً عندما اصبح على فراش الموت ، مصفر الجبين ، مهمل الوجه ،

ساستعيد في ذاكرتي ادوار حياتي كلها ، واقوم بفحص عام عن ما جرى بها ٠

فاحس بغناي ساعتذاك،وان كان الخير فيه قليلا ، فقد بقي لي الشر باسره ٠

لقد قضيت ايامي كلها ولم اهيىء،بعد،ما اكفر به عن خطاياي ٠

ولذا فلا فضيلةهناك تشفع بي،انما هناك خطاياي اطمئن الى كثرتها ٠

لقد كان لكل يوم ذلاته ، يا الهي ، وانا اعرفها معرفة البخيل لثروته العديدة ٠

والآن يا ربي !

ان كنت لا تقبل في ظلال بيارقك الا الشجعان والعذارى !

هاك دومينيك وفرنسوا، هاك القديس لوران والقديسةسيسيل٠

ولكن ان احتجت مصادفة الى كسول وابله ،

ان كان يلزمك متكبر وجبان ، ان كان يلزمك ولد سافل،عاق٠

ولد انقفل قلبه على ذاته ، وقسا وجهه على غيره ،
ان كنت حقاً لم تأت لخلاص الصالحين، بل لنجدة هؤلاء المساكين
فانا امامك يا ربي ، انا هنا ان افلست منهم في كل مكان .

عن «انصتي يا ابنتي» لبول كلوديل .

٣ ايلول ١٩٣٦ باكراً في الغابة

الكون كله سكون ...

زقزقة ناعمة متقطعة لعصافير هدهدتها نسمات باردة فاستفاقت تمرغ اجفانها على النور الطالع .

وحفيف اوراق الصنوبر تميّلها هبات منوّرة فتدغدغ اخواتها الهادئات ،

والدوالي ، وقد اثقلتها العناقيد، تلبي نداء الارض فتحنو على ترابها .

كل شيء هادىء ، توقظ سكونه فيّ نقفات النور على ما استكن من الوجود .

نفسي قلقة ، أرقتها طوال الليل ذكريات حلوة ، مفزعة ، مرتابة .
هجرت النعاس المضطرب الى يقظة ناعسة ، الى وعي حالم ، الى دنيا احس فيها الاخاء والروح في الوجود .

سكنت اعصابي ، سكنت شهواتي ، وغفت آلامي في نظراتي التائهة

من اعالي الجبل ، من اعالي اللامنظور ، رنَّ في اذني صوتُ مبكرٍ يغدو الى العمل .
«يا نوال فين عيونك تسعدني ؟» .
الروح الشامل ، روح الكون ، نفسك الخالدة يا نوال ، جمعت بين رغبات قلبي وهذا الصوت السائر .
ايهٍ نوال ! « انا كنت احب الحياة وطيف خيالك نديمي ! »

تعاودني الدموع ، فاناجي البحر ، ويداي تلامسان قطرات الندى ، ندى الفجر على الليل الذاهب .

ايام مضت ، وليال تقضت ، وانا لا يستقر لي حال .

بكيت سعادتي الراحلة بدموع ما عرفتها كبريائي من قبل ، ثم جفت الدموع في مآقي فحارت آلامي ، وحرت في نفسي وفي جسدي ، وضاق الكون في كياني ، فانا واعٍ غافٍ ، وانا نائم يقظ .

انا لاصحابي في لهوهم وحديثهم ، وانا لواجباتي في كل مقتضياتها ، ولكن ، انا لست انا ، في فترات من وجودي : انا للحلم يقظان ، وانا للذكرى نشوان .

انا لك نوال ، انا لذكراك كلما عادت نفسي الى حقيقتها ، انا لنظراتك كلما افلتت عيناي من مقيداتها المكانية .

ألم صامت يرافق نعومة حديثي ، وذكرى خالدة ترفرف في جو حياتي .

على اجنحة هذه الذكرى اهيم الآن فوق فضاء ايامنا الاخيرة ، ومن حشرجة انفاسك استمد موسيقى ليلها المترجرجة المؤلمة .

بعد غفوة صباحية

رق صوت هذه الموسيقى يا حبيبتي فغفوت على نغمها .

وما دريت أنغم مؤلم غمرني ام لحن مفزع . جوك الصامت استولى على وجودي الواعي ، فتستسلمت الى سكونه وغفوت على حنانه .

حلمت .

وتراءى لي ، فيما يرى النائم : عيناك ، وجهك ، ابتسامتك ، انا الذي ما عرفتها في الحياة الا قليلا .

وكنت عاطفة ، وكنت راضية ، وكنت مشجعة .

أأحدثك عن حلمي وانت كنت ملكه ، وانت اوحيته .

اجل ، احدثك ، لا اخباراً ، بل تذكرة وتعزية .

كان لك حلمك اليومي ، يا نوال ، تطلعيني على جمالة وتتمسكين بوحيه بلهجة ساذجة حلوة ، انصت اليها بكل جوارحي ، والعقل يقرها قبل العاطفة .

فانصتي الي من عالمك الثاني واغبطيني بعاطر عطفك .

كان نور وجهك المطل ينشد :

« ميشال ! ذهبت ضحية حبي لك وضحية غرامي بطفلك . هو الآن في احشائي ، في نظري ، في روحي . »

وهو أيضاً ، يا نوال ، متغلغل في سماء وجودي ، في كياني الكامل .

وتابعت انشادك :

« طفلك هذا احببته وحدي ، ووددته لي فقط عزاء عن ساعات تغيبك . رغبت فيه كي اضمحل في جسده جسدك ، وفي روحه روحك .

ولكن طفلك الثاني الذي كان منذ ولادتك مبدأ حياتك ، ومغذي ميولك ، هذا الطفل ، يا حبيبي ، هو شقيق طفلي الميت بجانبك ، الحي فيّ وفي احشائي .

كلاهما وليد ليال تشابهت بالتمخض والالم والتنازع .

مات ولدنا في الجسد والعاطفة ، فاحي ولدنا في الروح والميول والعقائد . »

وصمتّ فجأة .

وكان وجهك ينسحب شيئاً فشيئاً ، ويظهر ، مكان خياله ، طيف ولدنا في الدم ، روحاً ، شعلة من نور ، شعاعا من الوهية . ظهر مناغياً منشداً اخاه عزاء ابيه ورغبة امه .

افقت والشعاع المنسحب في عيني ، والشمس تنير الكون .

تعزيت . ولاول مرة منذ بلغني النبأ المشؤوم علتني قشعريرة ، هي قشعريرة الوحي ، قشعريرة الامل والعمل .

طفل العذراء ... وطفلي (*

منذ الف وتسع مئة وثمان وثلاثين سنة تقريباً حبلت مريم بيسوع، فتمخض رحم طاهر اخرج للكون بعد تسعة اشهر اعظم شخصية عرفها التاريخ .

ومنذ خمس سنوات تقريباً احسست فيّ - انا وليد السنة الاولى من الحرب الكونية وابن لبنان الشرقي - احسست فيّ قلقاً واضطراباً لم اتبين يومذاك جيداً مصدرهما العميق. شعرت في داخلي بهذا الاضطراب فتمخض قلبي وجاشت عواطفي ولمست ان قوة، ما كان جسدي ليولدها وحده او يستوعبها، تطلب الافلات، تطلب النور، تطلب الحياة .

ورحت افتش في زوايا الدور التي كنت ادخلها صديقاً، وفي منعطفات الطرقات حيث كنت التقي شباناً وفتيات قربتني منهم تلك القوة المباركة التي كنت احملها، رحت ابحث هناك عن ارض بكر خصبة ازرع فيها بذور قوتي علها تنمو مزدهرة وتثمر يانعة .

ومنذ ذاك الحين ما مر عيد الميلاد سنة الا وقفت حائراً مفكراً اسائل نفسي ماذا حل بتلك البذور واين مولداتها .

---

*) قطعة قديمة لميشال سرور كتبت في عيدٍ ميلاديّ .

* * *

وضعت العذراء مريم طفلها الالهي في ليلة قارسة وفي احوال حرجة . كان ذلك في وسط الشتاء وفي موسم الاكتتاب الجامع . لم تجد لها مأوى في منازل بيت لحم فقادها الفقر والحاجة الى مغارة منزوية فدخلتها . وهناك على لهاث البقر والحمير وفي مزود التبن توجعت ثم احست بحياة جديدة قربها ، حياة هادئة وديعة فتناست اوجاعها وعطفت على تلك الكتلة من لحمها ودمها ترنو اليها متعزية . حنّت اليها لانها حبلت بها راضية وحملتها تسعة اشهر وغذتها من كيانها . وكان يتراءى لها ايضاً خيال الالوهية متجسمة في طفلها فزادت حباً له واعجابا به وبنفسها الوديعة ، وكانت الملائكة تنشد «المجد لله في العلى» . وجاءت الرعيان بشباباتها وهداياها فكان سرور وكان امل وتثبيت عقيدة .

وهكذا انا

وأفق زمن زرعي ايام قلق وحيرة . امواج من التفكير غربية وغيرها صحراوية ، مدنية اوربية صريحة تصطدم بتقاليد شرقية متأصلة ، عقول مختومة وغيرها متفتحة لكل هواء ، مبادىء اخلاص فتية تلتهبها نار انانية نفعية موروثة ، اصوات ناعمة تهمس فيسطو عليها ضجيج الخناجر المرهفة : كل هذه الاجواء المتباينة كانت تعلو شمس الشرق وتناضل لبقائها مشجعة نضالها في اكتتاب عام .

واشفقت على طفلي ان يولد في احوال كهذه ولكن ما حيلتي والبذرة كانت قد نمت،فشقت الارض عابثة بكل ممانعة وظهرت للقدر وانطلقت في الفضاء .

كانت فكرتي بعيدة عن كل زخرف،مرغب تبنيتها وانا والد فقير محب للصمت . فايقنت ان مجتمعنا بمنازله الفخمة ومجلاته واحاديثه سيقسو عليها ويبعدها عنه،فحملتها كما حملت العذراء طفلها ورحت انثر شتاتاً منها في قلوب محبة صامتة فانعشها واولد فيها قوة تزيدني املا في قوتي .

وهكذا عطفت على وليدة لياليّ الصاخبة فاحببتها لاني قاسيت حملها وعاشت فيّ وعشت فيها . وقرت عيني مدة لاني تمثلتها حالماً فاذا بها شابة ملأت ما حولها شبابا وطافت شرقها الجميل مبشرة بانجيل نهضة عربونها العمل والمحبة .

نصف الليل ٥ ايلول

ظلام حالك يحيط بغرفتي من كل جانب .

الناس نيام والاشياء ، الا قلباً فاض به الشوق والحنين فاستفاق ينبض نوحا وقلقاً .

يلذ لي ان اشعل النور واطفئه في فترات قصيرة متواصلة ، ولست لاتبين حقيقة هذه اللذة ... ولكن لا : في هذه الانتقالات المضادة ارى صورة لنفسي : فسواد ليلها هو غياب نورك يا من كنت ضياءها الاكبر وشعاعها الاعظم .

منذ مدة طويلة وانا في حلكة صماء .

لا شيء يوقظ فيّ املا كامناً ، او يريني بصيص نور في جوي القاتم . حتى المي صامت مكمود . لمن اشتكي ، والكل يجهل ما بي ؟ وانا سبب جهلهم ، انا الذي أخفيت هذا الشطر من حياتي عن احب المقربين الي ؟

لو جئت اقول : ما تت نوال ، مات طفلنا ...

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

تكمّش القلم في يدي ، وضاق النفس في صدري .

آه ! ما اغباني ! حسبت نفسي شديداً ، اقوى على احتمال الذكرى اعيدها مؤلمة كما هي ، واتصورها حية كما شهدت هول فظاعتها .

ولكن لا ! اضطراب في اليد ، وجفان في الروع ، ضباب في السماء ، ودموع في العيون .

بكيت ، بكيت طويلا ، وشهقت من حسرتي ومن تصوراتي الماثلة .

انا وحيد في الي يا حبيبتي ، معذب فيه ، ولا من افتح له اسرار قلبي !

نوال ! طفلنا ! نكرتان جهل اسميهما الكون ظلماً وتقليداً .
عاشت نوال سنيتها الثماني عشرة في نزاع دائم بين نفسها ومحيطها.
ثم التقتني في منعرجات طريقها ، فعزت نفسها ، وهجرت محيطها.
وكان لنا سنتان من الالم في غبطة الخلود .

وكانت ليالي هوجاء ، وكان تمسك بالبقاء ، وكان احساس في الاعماق . وسارت النفس على هواها ، وقسا واحد وخاف آخر ، وكان وصال تأصل واعتنق ، واخيراً كان طفلنا تنمو بذرته في الوحدة ، في الالم ، وفي قليل من الامل .

تجيش نفسي ، وتعود الى رؤياها في الغابة .

هي قوة الانعتاق يا نوال تدفعها نظراتك الحلوة تشجعني على العمل .

احيي كتلة الدم المنفرطة في طفلنا الجسدي في عقد تجمعه ذكريات امه وما تبقى من ضعف ابيه .

وأخلد حبنا ، حلّ في الفضاء الواسع روحا تحنو على قوافيه !

١٩ ت٢

ما هذا القلق المستولي على وجودي ، الآخذ بمجموع قواي ؟
في نفسي حرارة الايمان ، وفي جسمي ضعف واستسلام .
تحن روحي الى « انا » في الماضي ، فاعود اليه راضياً مطمئناً .
ولكن ما اكاد اتلمس طياته ، واغور في سباته ، حتى اهدأ مرتجفاً .
صفحات رافقت عمراً يتفقت حسرة ، ويتجمع رغبة ،
وريقات اصفرت قدما وجفت ازوراء .
افكار ترجرجت فرمت شتاتها على الورق ، وخيال اقسم فتمايلت صورة في الذاكرة .
هذا هو دفتري القديم ، هذا هو مدفن احلامي الفتية .
أأعود الى ذكراه اليوم وحياتي ملأى بحاضري ومفعمة بمستقبلي ؟

١٠٨

الشيخوخة هي عودة الانسان الى امسه فما لي وله وفي بردي
امل ، وبين ضلوعي خفقان !..

اليك عني ايتها الصفحة المشؤومة ، وابعدي عن ناظري ايتها الخيالات الراعبة !

الي يا روح نوال ! هاني اسكب الجمر على حرارتي ، علني اتلذ بحماسة الشوق فاعمل واعيش .

... وكنا عائدين من زاويتنا في تلك القهوة المعتمة الا من نور القمر، والصامتة الا من عربدات الامواج تلاطم الصخور وتنام على الشاطىء الهادىء . كنا عائدين ونشوة الغرام تشمل روحينا المتعطشتين.

هناك ، في زاويتنا الوضيعة ، رافقت الامواج في حكايتها الابدية النشط الناعم ، فقطرت نفثات ماضيك ورغبات حاضرك في المفتوح من فؤادي والمرهف من كياني .

اخبرتني عن غابر العصور وسالف الازمان .

منذ الاجيال القديمة ، منذ البدء الكوني ، كانت نفس هيولية تفتش عن شعاع يضم ويجمع . تاهت هذه النفس في اثير الشوق وفضاء العدم ، وظلت تهيم معذبة حائرة حتى نزلت اخيراً في كائن جسمي فتأنست ودعيت نوال ..

تأنست ، ولكنها ظلت ناقصة راغبة .

ولم تكمل ماهيتها حتى اوحى الاله الشامل بنفحة من روحه تجسمت فيك يا ميشال ، وجاءت ترنم فوق جمودي فاهتز سائري وتنبهت من غفلتي الابدية فارتميت على خيالك المجنح وطرت . طرت وسبحتُ ، ونمت واستيقظت ، وغرت وعمت ... انت لي وانا لك ، انا لك وحدك يا وليد ايامي واحلام ليالي .

٢١ ت٢

وكانت سكرة في العمر غمسنا فيها كياننا على غير وعي ولا امل. وهل العمر الا سكرة يا نوال ؟ وهل تراءى لنا غير هذا في تلك الساعة من الغبطة ، الاولى من نوعها لي ولك .

ذكرت صمتنا منذ ولجنا باب غرفتك،وذكرت تأملاتنا المضطربة وشفاهنا المرتجفة .

ذكرت النور قويا مشعاً يحجب بروز انوثتك عن ناظري ، وذكرت ضجيج الخارج يلطف من نبضات قلبك على مسامعي المائجة .

ذكرت ذلك ، ثم دخلت في ديجور من الظلام منير .

اظلم الكون فاحسستك بالقرب مني وتلاشى الضجيج فسمعت حركة فؤادك على صدري .

دنيانا سرير ،
والصلاة عربدات...
في صدرنا حتّى الفجر ،
اوقدتها الآهات .
نامي ! فذا النوم قرير ،
ما بعده من سبات !..
ما لك وللمصير ؟
ما لنا والكائنات !..

ضاع نفسي في نفسك ، وتغلغل كياني في كيانك ، فانت انا وانا انت ...

وانا وانت مضمحلان ، مجتمعان في وليد منك ومني ...

آهات تتعالى ... جدران من اثير تحيط بنا، وجوق من الملائكة يخيم علينا .

نحن في ابدية منشدة ، نحن أغنية السعادة ، نحن الكون بل نحن لا شيء يحد ، نحن في غفوة اللاوعي ، نحن شعر صاف ، نحن الاله .

وافاق النهار ، واطل النور على وجهك الصبيح ، وتعرت الامومة في عينيك ، فقبلتهما مرتشفاً ضلوعي من حدقتهما .

وكان وداع ما احسسنا فيه لوعة الفراق قط ، فذكراك في وصورتي كلها في احشائك .

عاد المساء ، فعدت الى هنائنا ، وكنت قضيت النهار المس جسدي ، واغار على انفتاحه يومذاك للهواء ، للناس ، للنظرات . تكمشت على نفسي ادغدغها ، وحنوت على جسمي اهدهد مطلمه

البهي .

التقينا حيث غفونا بالامس، فاذا الهواء هواؤنا واذا الجو جونا .

لم تفتحي النوافذ للنور الجديد ، ولم تعتق الجو من عبير الشوق.

كل شيء كما تركته في الصباح .

على سريرك عربدة النداء ، وعلى الزجاج لهاث الآهات .

على وجهك آثار الحنين ، وبين ضلوعك حرارة العابدين .

تلك ليلتنا في العمر تعيش في نهارنا اليوم ويا ليتها العمر كله !..

١١٤

الخميس

رافقتنا ايام حلوة ، يا حبيبتي، وخلدتنا ليال عذاب فاجأنا صباحها ونحن يقظان بعد لم نشعر بثقل النعاس، ولم نضع دقائقنا بالنوم العميق.

انا احسك الان يا نوال كما احسستك في الماضي بل اكثر.

ولا اظن المادة من ضروريات التقارب.

فانت اليوم، وجسدك البالي تحت التراب الجامد، انت اقرب الي منك يوم كان جسدك يختلج بين يدي.

هو حاجز كان يوقف احيانا تيار فيضاننا العاطفي، اذ تثقل عليه رغبات النفس فيتلاشى وتنام معه الروح.

اما الان، فانا في جوك ليل نهار، وروحي مرفرفة ابداً فوق تلك البقعة الصغيرة من الارض التي تضم رفاتك الثمين. بخور الهي يطلع من مدفن احلامي، من قبرك، فيلتقي اثير نفسي ويصعدان طليقين الى الجو، الى اللانهاية البعيدة.

« الاجساد يفتش بعضها عن بعض »

ربي ! خلّ روحي حيث هي فعزاؤها هناك ، واملها والحياة !

صباحا في السرير

يا هناء هذه النظرات التي اطلت على طوال ليلي هـذا ، فارقتني واسعدتني .

كنت اردد مراراً اقوال الفلاسفة بان الزمن كفيل بكل شيء . فهو يمحو اطيب الذكريات واقساها ، ويستأصل من اعمـاقنا اعمق العواطف واغزرها .

كنت اردد ذلك ، والاقتناع به لا يخالج ضميري . وجل همي مع من اتصلت بهم او احببتهم كان ان احتفظ بهم احيـاء . آه ! كم كرهت الموت لي ، و كم سعيت ان ابعده عن المقربين الي ، خاصة عن الذين كانوا ينتشون عنـه راضين ، ويركضون اليـه بملء ارادتهم ، ودافع يأسهم .

ما زال الانسان محتفظاً بوجوده الجسمي ، عرضة لتقلبات الزمن والعاطفة ، فانت قادر على نسيانه ، مستطيع اقالته من اجوائك العالمية .

فهذا الجسد عينه الذي يسمونه حافظاً للروح هو هو الذي يولد فيك احياناً الكره الى جانب الحب ، والانعتاق الى جانب الاستسلام الكلي .

نسيت او تناسيت « ليلى » ، و « بهية » وغيرهما كـثيرات ممن اوقدن في عاطفة غير مائتة ابداً ، واصبحت اليوم اعيش وذكـرى

« ايلين » لا تقض على مضجعي ، بعد ان اصبحت تعيش تحت سقف عائلي يحميه الزوج ، وتهزهز افنانه تغاريد امل جديد .

« ايلين » كانت تعيش والانتحار منها على قيد خطوة . حتى انها ولجت باب لجته مرة ، وعادت - او اعادوها - مرغمة ، آسفة لمودتها . كنت اخاف انتحارها ، ضناً ببقية امل اجابة بها هذا الوجود

الاجساد لا تخلد الحب .

ولم اقر ابداً انتحار روميو على قبر جوليت ، وروحها ما تزال له ، ترافقه مدى حياته الزمنية .

بالامس القريب قادتني الاحوال الى امرأة تحتضر . ولقد سمعت الزوج والانسباء يبكون ، ويتأسفون لفقدها الوعي ولغطها في هذه الساعة الرهيبة .

« مسكينة ماري ! مسكينة حبيبتنا ! فهي تردد اسماء لغيرمسميات وتهذي وتهذي ... »

وقادني الفضول الى الاستماع لهذيانها . فاذا اسم « موريس » يتحشرج في رمقها الاخير ، واذا بي المسها تهتز للفظ هذا الاسم ، واذا اختها بجانبها تتطلع الى ما حولها وجلة وتود لو اخفت هذا الصوت ، لو لم يسمعه احد .

ورحت بعد اسبوع استفسر ما ادهشني في ذاك الموقف . فاذا الاخت تسر الي ان «موريس» هو حبيب الفقيدة الوحيد . وقد فرقتها حوادث القدر فابتعدا ، وتزوجت ماري . وكنا ظننا — او بالاحرى كنت ظننت ، لاني الشاهدة الوحيدة لهذا الفصل من حياتها — كنت ظننت ان هذا الحب قد دفن ليظهر مبدلا في حياتها الزوجية المثلى ، وتربيتها لاولادها ، وحياتها الاجتماعية المادئة . ولكن تصوراتي لم تصح . اخفت عني حياة هذا الحب في فؤادها ابداً وعاشت في ظل عائلتها بعيدة الجسد عن موريس قريبة الروح اليه . منعته عنها في النهار وروضت ارادتها على احتمال بعده . ولكنه في الليل كان يدخل اليها من فتحة احلامها ، فتستسلم لخياله . وها هي في دقيقتها الاخيرة ، وقد تلاشت الارادة عندها ، واضمحل الوعي تناديه ، تناجي روحه ، تعيش في اسمه . »

فرق الدهر جسدين ، ولكن الارواح ظلت متعانقة عاطفة .

هو الحب انكر قوته من جهله ، والانسان عدو ما يجهل .

روحك آخذة بمجموع كياني ، يا نوال . فانت اليوم ، اكثر من كل يوم ، قد اصبحت لي وحدي ، ولخيالي ، اتصورك كما اشاء ، واحيا بذكرك كما تطيب لي الحياة .

١١٨

٢٣ ت٢ مساء

تستولي على الاحلام ،
فاضعف ،
وانعس ،
وانام !

٢٩ ت ٢

انا في سريري اغالب الضجر واقاوم النعاس .

منذ مدة طويلة ، منذ ذاك اليوم، تبدلت حالي وانقلبت مظاهري.

لا يحلو لي عيش ، ولا آنس بمخلوق حي .

في النهار ، يرتعش ساثري مرات عديدة كلما قادتني قدماي الى مصايف غرامنا وربيع شوقنا ، فاتذكر ، واتذكر ، وفي الذكرى نشوة ، وفي وعيها ألم .

وفي الليل احلام في السماوات ، وموسيقى في الغفوات .

تتسلّين الى احلامي ، يا نوال ، وكأنك شخص أثيري لا زمن لوجودك ، ولا حدود لتبسطك . فانت على صورة ملك، وهل للملك صورة ؟ انا عاجز الان عن تصورك مادة كما عرفتك ، تمازجك روح هي أطيب الارواح . وكأني امام هذه التأملات أصبح روحا ايضاً فجسدي مهمل ، ومقيّداته ونزواته مهملة ايضاً ، وكل ما حولي من دنيا مخلوقة هو غريب عني ، أحس باستقلالي عنه .

ولكن ، تراني راغباً في بعض ساعاتي الصباحية ان اعود الى ماضي ايامنا ، الى انت وانا في بقعة محدودة من الارض ، وفي وقت معين من الزمن السائر . قلبي يحن احياناً الى حفر هذه الصور في الدمى منه ، لكي يبقى لك في كليته: في نبضاته ، وفي اشواقه ، وفي كل نزواته.

أعود اليوم الى يومياتي الماضية ، فاجد اسمك ِ في صفحة منها بل في اكثر من صفحة(* . عرفتك يومذاك كما عرفت غيرك . ولكن لا ! ترى ذكرياتي في تاريخ تعرفي اليك ، وفي تاريخ انفصالي عنك او بالاحرى انفصالك عني يوم قادتك الوظيفة الى حلب ، تراني في ذكرياتي تلك أحن اليك واتأسف لبعدك .

كان تعارفنا ، حتى يوم ذهابك ، لا يزال سطحياً ، فيه بعض الآمال المشتركة ، وفيه جو من العاطفةظل مضغوطاً عليه لم ينفجر رفقاً بك ورفقاً بنفسي .

ولكن ، ما كدت تصلين الى حلب ، وتتكيفين بكيفية محيطك وتنتهين من دهشة الجديد فيه ، حتى عدت ِ الى نفسك فوجدت فيها فراغاً. تململت عند ذلك الاحساس ، كما تململت انا ايضاً يوم أحسست ، وانا امر امام منزلك ، بغرفة مهجورة سكنها شخص آواني وهدهد سرير احلامي . تململت ِ، ولكن لم تعيري هذا التململ اهتماما كبيراً . ظننته نزوة من نزوات القلب العديدة . ولكن أخطأ الظن واذا برسالتك الاولى تصل الي كلمة مقتضبة فيها شيء وفيها لا شيء. وقبل ان اجيب عليها ، اذا برسالة ثانية تعقبها ، فيها طول في الشرح

*) راجع يوميات ميشال سرور تاريخ ١٧ آب ١٩٣٣ .

وفيها اخلاص في الاعتراف ، وفيها شوق وفيها غرام .

آخذ اليوم هذه الرسالة بين يدي ، وقد مسحها القدم بصفرته ، واطالع كل حرف منها ، فادخل من جديد في جونا الاول ، في اضطرابنا ويقظتنا وأملنا .

وتنقضي الشهور ، وازورك في حلب ، فتحدثين وتحدثين ، مرتمية في احضان عاطفة حملتها لك وكنت مخلصاً فيها .

واعود من مقابلتنا هذه ، في سكرة جديدة كأني لم أحسها من قبل ، وفي رجفة أشعر باستيلائها على كياني الكامل . ايكون هذا حباً ، حباً صرفاً لم اتعرف الى مثله من قبل ؟

وتجرفنا العاطفة فاذا اوقات فراغي لمراسلتك ، واذا انت لي في كل اوقاتك ، واذا بك ذات يوم تفاجئيني بتلك البرقية : « اكون في بيروت بعد يومين . التفاصيل عند ملتقانا . »

وتعودين الى استسلامك الكلي .. «وهل في الدنيا غيرك ياميشال؟ تركت حلب بتدابير صعبة حملني حبي لك ان اقوم بها لاعود اليك الى جونا» . وعرفتنا غرفتك من جديد ، وضمتنا اشواق ، وجمعتنا قبلات .

آه ! اني اشعر بيدي ترتجف . القبلة ! القبلة ! القبلة ! الم تكن هي اقوى جناية ارتكبتها ؟.. اليك عني ايتها الخيالات الراعبة ، والي يانظرات نوال الحانة اساعديني على اعادة هذه الذكرى لاجدف على نفسي واسألك العفو واستميحك الغفران .

عرفتك ضعيفة هزيلة . كنت اعرف ان امك مصدورة .

ترددت مراراً ، في بدء علاقاتنا ، أن اقبلك على شفتيك بالرغم من الحاحك ومن شوقي . وذات مرة ، وقد اشتد شوقي وكثر الحاحك ، سألتك : « أسليمة انت ام ان علة الصدر آخذة بك؟ » جمدت مبهوتة لاول وهلة ، وكان نظرك لا يحد ، ثم افلت من بين يدي شيئاً فشيئاً ، وارتميت ووجهك شطر الفراش تبكين وتشهقين .

وعبثاً حاولت انهاضك ، وعبثاً كلمتك ، فلم تجيبي على شيء . وظللت في وقفتك هذه قرب نصف ساعة وانا انتظر مفكراً ، متألماً فقد شعرت بفظاعة سؤالي لما كنت اعرف من رقة احساسك .

واخيراً رفعت رأسك ونظرت الي بعيني الحلم والحنان ، وقلت : «اذهب بربك ، ابتعد عني . وغداً نلتقي عند الصباح ونتفاهم . دعني مع الليل اهيم في ليلي ...»

ومانعتُ في الذهاب ، لكنك اصررتِ فلم اجد بداً من ذلك .

لم ترافقيني الى الباب ، ولم تقومي معي ، ولم تباديليني قبلة الوداع بل ظللت كالحالمة جالسة حيث انت ، تحبسين الدمعة في عينك والتنهدة في حلقك .

قضيت ليلي سهران مفكراً . انا اعرف حادثة جبران وماري هاسكل يوم طلب اليها ان تقبله عريساً فاجابته: «وهل انت نظيف؟» جارحة بذلك اقدس اقداسه ، محطمة آماله الفتية العذاب .

انا اشعر بفظاعة ما قلت ، ولكني لا ادري امتألم انا ام مغبوط . انا لا اشعر بشيء معين ، بل هناك اضواء من احلام واحساسات تتراءى لي فاراها . ولا استطيع ان افكر بها طويلا فاستخرج نوراً ظاهراً .

عدت اليك قبل الفجر استطلع نجمي ، واضع حداً لهذا الاسترسال في غير المحدود . تناولت المفتاح من جيبي عند اول الدرج لافتح الباب بسرعة . ولكن شد ما كانت دهشتي عندما وجدت الباب كما كنت قد تركته بالامس غير مقفل .

ربي ! هل ذهبت نوال ؟.. يا موت ... ولكن لا ، انت ايضاً

لا تزالين حيث تركتك بالامس على المقعد تنظرين الى الخارج من فتحة الباب . الليل مضى بكامله ، وانت أرقة تودعين حلماً جميلا غذيته طوال حياتك — واية حياة لك غير التي عشتها بقربي ؟ تبكين على ذاك الحلم ينقلب فجأة يقظة مؤلمة .

اتيت وكدت أرتمي في حضنك . ولكني بحركة ميكانيكية تعودتها منذ زمن بعيد،قبلتك ... في جبينك . فارتميت عندئذ على الارض تقبلين قدمي وتدفنين نفسك بين رجلي . وعبثاً كنت احاول انهاضك ، فرغت شعرك ذليلة ، يائسة، وبوجه منخفض الى الارض تمتمت :

« انا لست اهلا ان اكون عروساً لك ولن اكون ... »

ثم نهضت فجأة دون ان تسمعي الى جواب ، وكدت تقعين لضعفك ، ولكنك استجمعت قواك وذهبت فاغتسلت وعدت تهيئين المائدة .

كنت تمرين بالقرب مني في كل روحاتك، ولكنك لم تنظري الي . فكيف طاوعك قلبك على ذلك،وهل حقاً قسوت الى هذه الدرجة ، او ان نظراتك كانت ترتمي على هزالي دون ان ادري ؟

اخيراً ناديتني من غرفة الطعام فلم اجب ... راقت ثورتك وحنت عاطفتك ، فجئت تداعبين شعري الجعدي وتدعينني بحنان الى الاكل . على المائدة تحدثنا في شتى المواضيع،ولكن لم نتطرق ابداً الى حادث

البارحة ولا الى ما يقرب الحديث عنه .

وانتهينا ، وذهبت الى عملي والصمت الرهيب حول هذه النقطة يستولي على جوّنا .

ودعتك يوم ذاك ولم اهجر . ولكني كنت احس ان فكرة الهجر مستولية عليك تدمي فؤادك الرطب .

وقضينا اسبوعا بعد ذاك الحادث تتقاذفنا امواج من اليأس صاخبة ، وتدغدغنا نسمات من الامل حانية . اردت ان تقسي فلم تستطيعي ، واردت ان اكفكف فتدحرجت في استرحامي . اجواء عديدة تقاذفت قلبينا في ذاك الزمن ، ولكن كنت عاجزاً عن الابتعاد عنك ، وكنت عاجزة عن فقد نظراتي ، فلم يتزحزح حبنا اذن ، بل ازداد قوة وتمسكا في البقاء .

وكان زواجنا مستحيلا . جريمتي اهانتك في احساسك المرهف، وجريمتك ورثتها عن شرائع المجتمع . لك دين تربيت عليه ولك عزة نفس نشأت في عظمتها ، وفي اعماقك تضحية الذات الضعيفة لانعاش ذات قوية كلية — ولي دين لم تسايره مدنية بعد ، ولي آفاق يثقل علي فيها حمل عبء ثان ، وفي اعماقي كبرياء اتصلت واتصلت يا حبيبتي .

تضافر كل هذا ليفرق بيننا . ولكن كان القدر قد جمع روحينا فتضامنتا وجمحتا وتوجهتا ... الى اين توجهتا يا حبيبتي ؟..

في بعض ساعات تعقلي فكرت بسعادتك و... راحتي . ولكن لم الكذب يا حبيبتي ؟ ولم اخدع نفسي ؟ اصبحت الشخص الوحيد الذي احب من كل جوارحي . لأقل نظرة قاسية ، او اقل حديث جاف ، ارى الدنيا قد اسودت في وجهي واحس اليأس استولى على وجودي . ما اظن ان حبي لغيرك تغلغل فيّ كما تغلغل حبك . فانت مليكتي الوحيدة ، بك احيا وبك اموت . افهمتك احياناً اني عطفت

عليك لشفقة ، ولكن لا ... هو الحب يقودني في كل ما اعمل .

— « لاجلكَ ضحيت بكل شيء ، يا ميشال . كنت ارى اللجة امامي وانا اسير معك . غير اني فضلت الغرق فيها وانت الى جانبي على بقائي سالمة وانت بعيد عني . هويت الموت معك ، لان الحياة بدونك كانت تتمثل لي جرداء ، قاحلة ، مميتة . »

— « اعطيتكِ كل ما املك ، يا نوال ، وسلطتك على عواطفي ، لاني لمست فيك الحبّ المتناهي ، الحب الذي رفعني الى عالم من السلاذة كنت اجهله ، الى سماء ما تعرفت اليها من قبل . »

— « لا ، لا ، لا يا حبيبي ! واله قلبي ! لا تقسُ ابداً ، فامل حياة بكاملها معلق على رضاك . احبك ، ميشال ، وقلبي بحاجة الى حبك فلا تخدع نفسك احياناً ، وتظهر مظهر العابس بل كن دائماً صادقاً ، ودع حبك يلامس كياني فيعيش فيّ واعيش منه وفيه . »

يا روح حبيبتي ، ساعديني في هذه الذكريات ورفرفي حولي لاستمد الحياة من حبك ، واطير على جناحي العبادة حتى احضان الالوهية !

وكان خوف من الفناء... وكانت رغبة في الخلود... وكان اثر يجمع القلوب ، هو طفل يبقى تعزية في الوجود... وكانت سهرتنا في تلك الزاوية المعتمة من القهوة.. وكانت عودة.. وكان انفلات.. وكان نداء... وكانت ليلتنا ، ليلتنا الخالدة ، عصرنا فيها ما جمعنا من احساس منذ ازل الاجيال، وعشنا فيها ومتنا لنحيا في وليدنا .

وتبع ذلك ايام وليال ، وليال وايام ، حملت الينا الحلو والمر ، اسعدتني في ارتياحي واشقتني في شكي . فوّحتك في املك، وقتلتك في سريرك .

أأستعيد اليوم ذكرى تلك الشكوك التي انتابتني يوم عرف الناس بحبنا وارادوا التفريق بين قلبينا ، فجاؤوا يقولون : « نوال كذا وكذا ... انت واحد بين كثيرين قبلك وكثيرين سيأتون بعدك... نوال زهرة حلوة ينثر وريقاتها كل عابر سبيل ... افق من غفلتك وانبذ هذه الزهرة فعطرها سام وفي اعماقها الموت الزؤام.»

قالوا كل ذلك ، فآلمني سماعه ، وقتلني ما ايقظ في من قلق ويأس وحب اضمحلال ، واحتقار لذاتي وللكون وللحياة التي اعيش من لهثاتها .

وكانت لنا ليالي عتاب ، وايام نقمة ، وعرفت ليالي ارق وايام لعنة..

قلبي يحترق لذكرى شكوكي ، فاين ذكرياتنا الحلوة ؟

ذكريات حلوة

وكان ذلك اثناء مرضها واقامتها في المستشفى . كانت تعتريها غيبوبات تحس فيها انها تدنو من الموت ، فتنادي احباءها للوداع ، وتلتقطني بذراعها ، وتضمني اليها بشدة لا استطيع الافلات منها ، وتتمتم من اعماق قوتها : « ميشال ، حبيبي … الوداع … لا تبتعد عني … دعني أمت وانت عاطف علي كما انت … »

وكم من مرة كنت اضع يدي على فمها لاخفي هذه الكلمات الفاضحة ، او ارفع صوتي معزيا ، مقويا لئلا تصل همساتها الى ابعد من اذني .

ثم تشتد عليها النوبات فتتألم لالمي : « هل اصبحت اضايقك يا حبيبي ؟ سامحني يا معبودي … » ثم تبكي فامسح دموعها بمنديلي .. واخفي عنها دموعي .

وكانت قد قطعت علاقاتها مع جميع البشر ، تنزوي في بيتها بعد عملها منتظرة مرور الحبيب ، وتحيا بهذا الانتظار .

وفي المساء كنا ننشد حبنا ونسمعه الطبيعة كلها . كنا نعيش كأن الدنيا لنا لا نعبأ باحد ولا بشيء ..

عرفنا الحب في جميع نواحيه ، واستشهدنا على حبنا الصخر والعشب ، نور القمر وظلام الليل ، هدوء الطبيعة وصخب الآلات الموسيقية... عشنا كاننا وحيدان في عالم ما خلق الا لنا .

ايه نوال . حبنا اصبح كل كياننا.وكل شيء يحيط بنا يذكرني به . فانت لي ، لي وحدي،وانا لك يا عروسة ايامي ولياليي .

وفي ساعات لذاتنا الجنونية ، كنت اسكر لكلمات يصدرها كل كيانك .

وفي غفواتنا الحلوة سمعتك تنادين نظراتي لتحفري صورتي في جنينك .

وذات مرة اضفت : « انت في كل جارحة من جسمي ، وفي كل امل من روحي... انت متغلغل في كياني تغلغل هذا الجنين في احشائي . انت مصدر حياتي ومنعشها الوحيد... دعني اقبل عينيك واغفُ على صورتهما ...»

انا مرتاح لهذه الذكريات ، وسأغفو على نغمها .

اسعدت مساء ، ياحبيبتي ، في سمائك الخالدة . فليلي هذا سأقضيه حالماً بك ، ساهراً على امل اللقاء في جنة الخيال .

انتهى طبع هذا الكتاب في ٣١ ك اول ١٩٣٨

على مطبعة الاتحاد